فاطمة وسام

ميخائيل

روايـة

ميخائيل
روايـة

فاطمة وسام

اسم الكتاب: ميخائيل
رواية
اسم المؤلف: فاطمة وسام
الطبعة: الأولى ٢٠٢٥

تصميم الغلاف: صالح جادري

قبل أن تبدأ أو تبدأي القراءة، أيها القارئ أو أيتها القارئة، أود إخباركم إني أنتج سير خواطري كيفما اتفق ولا أجمّل ما بين السطور.

٦ / مارس/١٩٥٥م

كنت عائدا من المسرح، وكانت الساعة تشير الى الثانية والنصف ظهرا، أنهيتُ بروفات المسرحية واتجهتُ إلى شقتي، دلفتُ إلى الداخل بهدوء كي لا ألفت انتباه جارتي المتطفلة، وقبل إغلاقي الباب جائت وهي امرأة عجوز تسكن مع ابنتها بالجوار، وقالت:

- ميخائيل لقد عدتَ أخيرا، اسمع لقد أتاك ضيف قبل قليل وقد كان يطرق الباب بإلحاح وحين لم يجدك، جلس عند باب شقتك، فخرجتُ إليه وطلبت منه أن ينتظرك عندي، طلبتُ منه هذا إكراما لك، ولكن لأصدقك القول إنه شخص قليل الأدب حقا، وحين سألته عن اسمه لم يخبرني به بل اكتفى بالنظر لي ولكنني........

- سيدتي هل هو في منزلكِ الآن، قاطعتها قائلا.

فأجابت:

- نعم، نعم، إنه نائم على الأريكة.
- حسنا هلّا أيقظته من فضلك.
- أمم.. أفضّل أن تفعل أنت هذا، فهو يبدو غاضبا..
- بالطبع، أنا سأفعل.

حين دخلنا منزل جارتي، وهو منزل نظيف بحق، وهذا أول أمر أراه في بيتها.

كان ضيفي يغطّ بنوم عميق على إحدى أرائك المنزل، كما قالت.

لقد كان شابا في السنة الخامسة والعشرين من عمره، طويل القامة، صاحب شعر كثيف أسود، وعينين سوداوين ناعستين، وبشرة بيضاء شاحبة، وشفتين غليظتين، ووجه حاد، إنه أخي اسس ليس بالدم طبعا، ولا بالتبني، ولا قريبي حتى، لكنه أخي فحسب، عشنا معا طوال حياتنا، وسأشرح لكم كيف هذا..

إن لجدتي ثلاثة أبناء، صبي، وابنتين، أما عني فأنا إبن الصبي، وقد توفي والداي عندما كنت طفلا صغيرا، لهذا انتقلت إلى منزل جدتي، أما عمتاي، فقد تزوجت

الصغيرة منهما وانجبت صبيا أيضا، لكن لسوء الحظ فقد توفيت هي أيضا، أما زوجها فلا أحد يعرف أين هو؛ لهذا كان مصير ابنهما يشبه مصيري، أما عمتي الأخرى وهي أكبر أخويها فما زالت للآن لم تتزوج، بل بقيت لتربيتنا أنا وابن عمتي (اركافيل)، وهذا الأخير سأتكلم عنه لاحقا، أما الآن سأتكلم عن أسس.

إن والداه كان يعملان عند جدتي، أمه طباخة في منزلنا، أما أبوه فيعمل في مصنع الشمع الذي تملكه جدتي، وقد كان مقربا جدا من العائلة، لكن لسوء الحظ، ويا له من ذلك، فقد توفي أثناء عمله بطريقة بشعة، لقد وقع عليه الشمع الساخن وأحرقه، وهذه الميتة البشعة أثرت بعمتي كثيرا لهذا راحت تلح على والدة أسس أن تنتقل عندنا هي وابناءها وهما أسس وأخته، التي تصغره بثلاثة أعوام، والتي تدعى(رسم) إنها أيضا تكون لي أختا صغرى.

وهكذا عشنا أنا وأركافيل وأسس ورسم معا كالأخوة، لكن لم يكن اركافيل مقربا منهما جدا، كما كان معي، لا أقول انه لا يحبهما لا بالعكس فحبه لهما لم يكن قابلا للطعن لكنني كنت أقرب لهما منه.

لقد توفيت والدة أسس ورسم قبل خمسة أعوام فاراد الاخوان أن ينتقلا من المنزل وما كان من عمتي إلا أن غضبت وراحت تؤنبهما على ما فعلاه قائلة:

- كيف هذا يا رباه، أنتم أربعة اولادي الذين لم ألدهم، وأنا لن أتخلى عن أحدكم ما حييت.

وهكذا أكمل كل منا حياته كالمعتاد إلى أن قررت أنا قبل عامين أن أترك عملي في إدارة المصنع لكي أصبح ممثلا مسرحيا، لكن الأمور لم تجرِ كما أردت، فقد غضبت جدتي غضبا شديدا، وقالت: إن تمثيل المسرح لا يليق بأسرتها أبدا، واني سأجلب العار لها بفعلي، وانها لن تسمح لأحد بأن يشوّه اسم أسرتها بأفعاله.

لطالما كنتُ مصدر إزعاج لجدتي، فمنذ صغري كنت أظهر عواطفا لا تليق بالرجال كما تقول هي، وكنت أحب العزف، التمثيل، الغناء، الزراعة، كانت ترى في هذه الأشياء أمورا تافهة، وكان ميلي الى التأمل وحده يزعجها اكثر من أي شيء، وهنالك أمر آخر تعتقد جدتي بأن علي ان أكون مثل جدي وأبي فلا يليق برجال اسرتنا الا أن يكونوا اشداء، فقد كان ابي مهندسا وكان رجلا بحق، اما جدي فأنشأ ثروة من الصفر، وانشأ مصنعا للشمع هذا ولم

يكن حساسا مثلي انا، فهي اطلقت علي لقب الحساس هزوة بي، وبطبيعة الحال حين اردت ان أصبح ممثلا طفح الكيل بجدتي وطالبتني بترك تراهاتي، وبالتأكيد اخترت تراهاتي، فبالنسبة لي هي أحلام وليست تراهات.

وهكذا تم طردي بكل هدوء ومن دون تدخل احد ابدا، فالأمر والنهي في منزلنا بيد جدتي ولا يمكن الإعتراض على أوامرها.

أيقظت أسس الذي كان نائما على كنبة جارتي، واتجهنا الى شقتي بعد ان شكرتها كثيرا.

- لقد انتظرتك لساعات، قال أسس، وهو يجلس.
- لا، تبّا لي ليس انتظارك بالساعات هل تشرب شيئا سأحظر شيئا لأشربه
- لا داعي لهذا جئت اسألك عن امر ما وأذهب
- أوه حقا هكذا اذن لكن صحيح متى خرجت من السجن؟

ضحك أسس بصوت عال ثم قال:

ـ ليس سجنا ولكنه اعتقال، فقد ضربت احدهم حتى هشمت انفه، اعتقلت يومين.

وأمس تم الإفراج عني لكن كيف علمت؟

ـ أركافيل اخبرني...... لماذا تغير وجهك ما الأمر؟

لا شيء المهم الآن جئت لأعرف هل يمكنك أن تعطيني؟

عنوان ذلك الرائد اقصد ذلك الذي تعرفه انت.

ـ من تقصد؟

- اسمه ليل على ما اعتقد
- لماذا
- لعمل ما
- وما هذا العمل اخبرني قد استطيع المساعدة
- ميخائيل انت ما عليك فعله هو اعطائي العنوان فحسب وهذا سيساعد كثيرا صدقني
- لا اعرف عنوانه
- انت تكذب
- لست كذلك انا لا اعرف عنه أي شيء فحسب

نهض أسس وهو يقول بصوت يوحي بالاشمئزاز

- سأبحث عنه بنفسي ولتذهب أنت وعمتك واهلك جميعكم للجحيم.

- لحظة، ماذا دهاك؟ لماذا انت غاضب؟ قلت هذا وانا اهرع لأسس واستحثه على العودة للجلوس وبالكاد نجحت بذلك.

- اسمع لايمكنك ان تصرخ هكذا، دون ان تشرح لي

ظل أسس صامتا لوقت طويل لا اسمع فيه غير صوت لعب الأولاد في الشارع، فقطع صمته بحدود دقائق وهو يقول رسم ما بها؟. سألته بكثير من الإرتباك وابتسامة بلهاء على وجهي:

- ذلك الوغد صفعها امام الجميع وفي منزل عمتك كنت انا ذلك الوقت معتقلا ولم أعلم بالأمر إلى اليوم وعمتك واركافيل، وقفا كالحائط لم يفعلا شيئا.

- لحظة أسس لم أفهم، كيف هذا ولماذا؟ هذا الكلام عن عمتي.

- لقد صفع الرائد رسم وعمتك لم تفعل شيئا هل فهمت؟

- ربما هنالك خطئ فعمتي تحب رسم لا يمكن أن..

- لا اعرف لكن عمتك سمحت بهذا وانتهى

صعقت لما سمعت، فلم اقاطعه وهو يتحدث، بل بقيت استمع اليه وانا مندهش في داخلي، حاولت قدر الإمكان أن ابقى هادئا امامه، فأكمل أسس يقول:

- لقد حضر قبل بضعة أيام ضيوف لعمتك يبدو انهم حضروا من اجل عمل أو شيء من هذا القبيل، المهم كان من بين الحضور فتاة ويبدو انها من معارف ذلك الوغد، فحين حدث وفقدت الفتاة توازنها، كادت أن تسقط، حاولت أن تمسك رسم وكرد فعل طبيعي، قامت رسم بالابتعاد تاركة الفتاة، تسقط أرضا فأحرج هذا الأخيرة جدا فراحت تقول أن رسم اوقعتها، فأنكرت رسم هذا وراحت تبكي، تقدم الوغد وجرها من معصمها، نحوه وقام بصفعها وامام الجميع، إرضاء لتلك التي كانت معه،

وعمتك لم تفعل شيء غير انها فرقت بينهما، وقادت رسم خارجا، واركافيل برأيك ماذا فعل؟ لقد اخذه على جنب وتكلم معه اذ يحسب نفسه رجلا ذكيا، يا له من شجاع...... أحمق........ لكن أنا لن اسكت ولا يهمني أي شيء، سوف اجبره على التوسل عند قدمي (رسم) وليحدث ما يحدث،،،،،

سكنا نحن الاثنان قليلا، ولم يكن هنالك غير صوت دقات الساعة يتردد في الغرفة، وشعاع الشمس الذي يعبر من خلال النافذة، كاشفا خيوطا من الغبار المتطاير بيننا، قطعت الصمت.

- يا أخي أعرف أن الأمر يصعب عليك،
- وثق إنني أشعر بشعورك ذاته الآن واننا لا يجب أن نسكت مهما حدث لكن العنف لا يحل شيء أبدا وأنت فقط ادع كل شيء لي وأنا أعدك بأنني وخلال يومين ساحل المشاكل بطريقة ترضيك وترضي رسم.
- ماذا تنوي أن تفعل بهذه السرعة فكرت بحل؟
- بصراحة لا أنا لم أفكر بشيء حتى الآن
- عجبا وتتكلم بكل ثقة ميخائيل لقد صفع أختي

ـ متى خيبت أملك بشيء أخبرني وأنا قلت لك امهلني يومين لا اكثر بكل تأكيد ساجد شيئا ما صدقني

- وإذا انتهت اليومين وانت لم تفعل شيء
- عند ذاك عاقبني مع ذلك الرائد
- سأنتظر ليومين ولكن إن لم تفعل شيء سيكون عقابك أقسى من ذلك الرائد لذلك احذر أن تخدعني

كان علي أن أفكر بحل ما لا يمكن أن أدع أسس يتهور، يفعل ما في رأسه لأن هذا قد يعيده إلى السجن بتهمة الاعتداء على رائد يا إلهي هذا ما كان ينقص لكن في الوقت ذاته لا يمكن أن ادع ما فعله رائد بأختي يمر مرور الكرام.

- كيف حال جدتي أخبرني اركافيل قبل أيام أنها مريضة
- هذا ما قاله فحسب قال أساس فقلت له ماذا تقصد بكلمة فحسب؟
- لا أعرف ربما من غير اللائق أن أقول هذا مباشرة ولكن للأسف الجدة تحت تحتضر قد تموت في وقت قريب

- حقا قلت ذلك بحزن عميق ثم قلت لكن لم يخبرني أحد

- بصراحة أنا سمعت هذا من العمة حتى إني لم أراها منذ أسبوع

- وعمتي

- ماذا عنها

- أهي بخير؟ أقصد كيف حالها مع هذا الأمر؟

- فهمت، لا ليست بخير تبدو مريضة قليلا

سكت أساس ثم ختم كلامه قائلا: ميخائيل ما رأيك أن تأتي معي لنرى الجدة؟ وقد تسعد رسم عند رؤيتك

- ماذا تقول هذا سخيف من الصعب أن أذهب

- لماذا هذه أيام جدتك الأخيرة عليك ألا تترك عائلتك بهكذا ظروف..

عند الواحدة والنصف وجدت نفسي أمام منزل جدتي.

كانت عمتي جالسة في الصالون حين دخل أساس ودخلت أنا خلفه، كانت مفاجأة عمتي برؤيتي كبيرة لدرجة أنها ظلت تحملق بي من دون أن تتحدث أي حديث للحظات ثم ها هي تنهض وهي تصيح:

- يا إلهي ماذا أرى ميخائيل بني تعال إلى هنا دعني أحتضنك، أقبلت علي عمتي مسرعة واحتضنتني حضنا يشبه حضن الأم ولا عجب فأنا لم أعرف أما غيرها.

عمتي تدعى نادين وهي في الرابعة والأربعين من عمرها وكما قلت سابقا هي غير متزوجة إلى الآن لأنها كرست حياتها لتربيتنا، أن أكثر ما يزعجها ويشعرها بالحنق هو أن يشير أحد إلى هذا الأمر، أنها طويلة القامة ورشيقة أيضا ذات وجه ممتلئ ناصع البياض وعينين متوسطتي الحجم.

على العموم ملامحها متناسقة شعرها بني قصير مصفف بعناية دائما ملابسها أنيقة أيضا حتى أنها تبدو لناظرها أصغر بعشرة سنوات

عن شخصيتها فلا أعرف ماذا أقول فهي شخص عادي جدا لا يوجد ما يميزها ولا ما تفتخر به، حسبيi إلا أنها مهووسة نظافة

قضت حياتها كلها مع جدتي على عكس أخويها الذين وجد كل منهما حياته وعاشا كما يجب.

لا أصدق كيف استطعت أن تأتي إلى هنا أقصد آه يا إلهي أنت تفهم قصدي أليس كذلك؟؟؟ صعد أسس إلى الأعلى عند دخولنا، وأنا جلست بقرب عمتي بعد الاستقبال الحافل أجل أجل لا تقلقي أنا نفسي لا أعرف كيف أتيت لكن حين سمعت بمرض جدتي أتيت دون تفكير كثير

نعم أمي قالت ذلك بشر رد ثم أضافت لكن من أخبرك

- أسس
- لقد طلبت منهم أن لا يخبروك!!!!
- ولماذا طلبت أن لا يخبروني
- حتى لا تنزعج بالتفكير بالأمر فأنا ظننت أنك لن تعود حتى وإن سمعت، قلت في نفسي انه سيتألم على جدته لكنه لن يعود
- لا تظني بي هكذا فحتى لو كنت شخصا ذو كبرياء وأنفة لن اتصرف بهذه الطريقة فهي جدتي بالنهاية.
- صحيح لا بأس أهلا بك على كل حال
- هل يمكنني أن أرى جدتي الآن
- لا بالتأكيد لا قالت ذلك وهي تصيح مرتبكة

- فقلت لما لا

- آسفة لما سأقوله لكن لو رأيتك أمي ستغضب وهذا ما لا نريده فقد أوصانا الطبيب بوجوب الراحة القصوى لها حتى إني منعت اخوتك من أن يدخلوا عليها منذ أيام.

- لكن ما الحل

- حسنا دعني أتحدث معها أولا ونرى ماذا تقول

- لكن، أليس من الأفضل ان اذهب اليها بنفسي واعتذر قد ترفض ان تكلمتي معها وتظن ان قدومي الى هنا كان بطلب منك او شفقة مني وما الى ذلك.

- او ماذا سيحصل إن رأتك العجوز المسكينة ومن فرط المفاجئة يتوقف قلبها قبل اوانه.

- الهذا الحد كرهنني

- وهل ذكرت انا انها كرهتك، ميخائيل لا تفعل هذا ارجوك، فكر قليلا، ولا تضعنا بموقف لا نحسد عليه، صدقني امي تحبك رغم قساوتها، انها امرأة طيبة القلب، لكن ما مرت به جعلها تتصرف، بهذه الطريقة، لكن

لا تقلق سأصلح انا كل شيء، نعم سأصلح كل شيء قالت جملتها الأخيرة بكثير من القلق والشرود ثم أكملت:

- دع الامر لي.
- حسنا سأنتظر.
- اوه انظروا من هنا؟ ظهر اركافيل امامنا وهو ينطق هذه الكلمات بالكثير من الاستغراب الظاهر، فأجابته عمتي
- لماذا عدت باكرا؟ لم يجبها بل راح يسألني
- ميخائيل ماذا تفعل هنا؟
- جئت اطمئن على جدتي
- غريب حقا، لا اصدق
- اركافيل، أيها العزيز ما الذي لايمكنك تصديقه؟
- لاشيء يا خالتي لا شيء قال ذلك وهو يضحك، ثم تقدم نحوي معانقا وهمس بإذني بكثير من المكر
- سررت لرؤيتك باسانيو
- لم أقل شيئا، بل اكتفيت بالابتسامة فقط.

- ان اركافيل هذا هو ابن عمتي المتوفاة والذي ذكرته سابقا، ان له طباعا غريبة، فأحيانا نراه شخصا رائعا، وودودا بحق ومرحا وذو طبع راق، واحيانا أخرى نراه سيئا يضمر الحقد، لهذا وذاك، لكن دون سبب واضح، وله طبع آخر مثل حب المشساكسة، وازعاج الآخرين وبالأخص عمتي، وما زال يفعل هذا حتى الآن رغم انه في السابعة والعشرين من عمره، اما شكله فهو اكثرنا حظا، فقد ورث عيني امه العسليتين، وشعرها المائل الى الشقرة، وهو طويل القامة لكنه هزيل، ذو شارب اشقر وابتسامة لطيفة الى ابعد حد وهو دائما يبدو انيقا فهو يلبس ملابس عصرية، ويعنى بهندامه كثيرا، حتى يمكننا ان نقول انه يصرف دخله فقط على اناقته، اما عن سبب مناداتي باسم باسانيو، فانا افضل عدم الإفصاح عن السبب، وقد افصح عنه فيما بعد.

-

- اخبرني لماذا عدت الآن؟
- اظن ان عودتي مبكرا تزعجك خالتي!!
- لم أقل شيئا من هذا القبيل إنما سألت عن سبب عودتك خوفا من انه وقوع شيء سيء مثلا.

نهض اركافيل واخذ يدي عمتي وراح يقول وهو يجلس على ركبتيه امامها

- انت امرأة لطيفة كنت تقصدين شيئا نبيلا، وانا ظننت ظنا سيئا، حقا ان شخصا مثلي لا يستحق عطفا منك، لهذا اشفقي علي واعذري وقاحتي، سحبت عمتي يديها وقالت وهي تكتم بجهد ابتسامتها

- لا تشاكس واخبرني لماذا عدتَ؟

- لقد اخبرني السيد جبيل انه لم يحظر غدا وحده بل السيدة مرج وبناتها سيحظرن لرؤيتك أيضا،

- اوه اركافيل لكم انت غريب، لماذا لم تتكلم منذ البداية؟

- حسنا عزيزي ميخائيل انت تعرف مكان غرفتك، اوه اسمح لي انا لا اقبل كلمة منك لا اعتراض، هل تفهم؟

-

والآن سأكون مشغولة سنكما ما ابتدأناه لاحقا، والآن ابنتي رسم رسم تعالي وساعديني، اوه ها هي ذي، أطلت رسم برأسها فما إن رأتني حتى جاءت مهرولة وهي تقول ضاحكة:

- اوه لا اصدق لا اصدق متى عدت لماذا لم يخبرني احد وعانقتني بكل قوتها.

لا يوجد الكثير مما يمكن ان اصف فيه رسم، فقط هي في الثانية والعشرين من العمر، حلوة المعشر لطيفة جدا، تحب الجميع لها ملامح اخيها، أسس شاحبة اللون،. صاحبة شعر طويل أسود وكثيف، وهي مثل اركافيل كثيرة التأنق، ربما هو علمها هذا، وهذا ما أستطيع ذكره حتى الآن.

يمكنكم ان تتكلموا فيا بعد، اما الآن على رسم مساعدتي، قالت عمتي: وهي تخرج، فقالت رسم:

- سعدت لرؤيتك اخي، اما الآن سأذهب واراك فيما بعد وخرجت خلف عمتي

- عمتي مجنونة حقا، قال اركافيل هذا وهو يضحك، فأجبت وانا اضحك:

- انت ان بقيت على هذه الحالة فستقتلك عمتي.

- قد يحدث هذا قريبا فهي بدأت تفقد صبرها، دعني من كل هذا الآن واخبرني كيف هي الأمور معك؟

هل ما زلت تؤدي دور باسانيو؟ لقد رأيتك بهذا الدور مرتين

- لعلمك فقط انا امثل أدوارا أخرى غير هذا الدور

- هل تقامر؟

- أحيانا، ولكن ما الذي خطر لك؟

- انت احمق حقا، اسمع لا اريد اخذ دور الحكيم الآن لكن ما تفعله لضرب من الطيش، اعذرني على ما سأقول

- لكن أنت تعيش كالمتشرد ان صح التعبير، فأجور المسرح تذهب هباء، اما الاجار، اما القمار، وهل ستبقى هكذا الى الابد؟. كنت مطرقا راسي لا انطق بشيء، لم اشأ ان أوضح شيء بهذا الخصوص، انا أرى الموضوع بطريقة مغايرة، فما يراه الآخرون عبثا وتشردا، اراه انا استقرارا، وما يرونه وحدة وعزلة، اراه استقلالا وراحة، فلا داعي اذن ان أعيش كما يعيش اقراني، او كما يريد الآخرون ان يعيشوا، فانا سعيد بطريقة عيشي هذه ولا اريد تغييرها، وضع اركافيل يده على كتفي وقال:

- انا ذاهب الآن، لدي عمل أقوم به، ودعني

وخرج، اما انا فاتجهت الى الغرفة التي عدت أقيم فيها،

صعدت الى الطابق الثاني بهدف الذهاب الى غرفتي

كانت هناك رعشة تسري في كل جسدي ونبضات قلبي تتسارع مع كل خطوة اخطوها، صعدت الدرج درجة درجة، وعند نهايته غيرت وجهتي من غرفتي الى الغرفة الواقعة في آخر الرواق، ها أنذا اعبره واصل لتلك الغرفة، لقد وصلت ها هو امامي باب خشبي..... ابيض بإطار مزخرف بزخارف فكتورية ذهبية، ومقبض ذهبي، أيضا دائري الشكل تسمرت في مكاني للحظات ثم امسكت المقبض وطرقت الباب بيدي الأخرى مرتين، فلم يأتي جواب فطرقت مرة أخرى ولم اسمع جوابا أيضا فقررت الدخول وليحدث ما يحدث علي فقط، مواجهة مشاكلي، ثم شعرت بأظافر تغرس في يدي.

- توقف أمنعك من الدخول
- اسف انا فقط اردت ان أرى ان...

- لا يهم فقط، ابتعد اذهب الى غرفتك أو أي مكان لا همني

- حسنا لكن اتركي يدي فحسب

- يا الهي عذرا لم اقصد أنا فقط، اوه، أنت تعلم انا أخاف على امي أخاف ان تغضب ويصيبها مكروه

- ميخائيل اسفة آسفة حقا

- لقد كنت انظر الى عمتي وهي تتكلم ولكن عقلي فقد صورتها كانت في تلك اللحظة غريبة تتوقف في الكلام، وقد رأيت تفاصيل فيها لم ارها من قبل بل هذه، المرة الأولى التي اراها هكذا لقد اثارت في الاشمئزاز، حقا لقد بدت لي وكأنها تنصهر ثم تعود لتتشكل ولكن تشكلها، يكون بصور مختلفة، وصوتها هو الآخر كان يضيع، لقد حدث معي شيء مشابه، من قبل لكن بندرة كنت اتوه من كل شيء، افقد كل شيء بلمح البصر، لا أعود افهم أي شيء أو اين أكون؟ لكن كنت أعود الى طبيعتي بعد ثوان محددة، وافهم كل شيء مرة أخرى

- لكن هذه المرة كانت مختلفة فقد طالت بي هذه الحالة، هاهي ذي عمتي تعود للتشكل من جديد، بطريقة بشعة لم اتحمل كل هذا.... كنت سأتقيأ لذلك تركتها

تتكلم وخرجت من المنزل مسرعا، حين خرج اركافيل من المنزل راح يحث خطاه الى منزل الآنسة سبيل متحمسا مشغول البال لا يفكر بشيء غير الوصول، ان سبيل ليست من بلادنا بل من بلاد أخرى وقد أتت هنا لغرض الدراسة الجامعية وهي مقيمة الآن عند السيدة مرج وهي قريبتها لأمها.

لقد جاءت منذ عام تقريبا وقريبتها السيدة (مرج) من معارف السيد جبيل الذي يعمل اركافيل عنده ك سكرتير، وفي احدى الامسيات ذهب اركافيل مع السيد جبيل الى منزل السيدة (مرج) وقص علي كيف كانت جالسة تحت الصفصافة مع باقي افراد اسرتها، تقرأ على مسامعهن رواية نساء صغيرات، لقد بقي على مسافة لا بأس بها يستمع اليها، لقد كانت الآنسة (سبيل) جميلة جدا لكن في عيني اركافيل كانت تبلغ من الجمال مبلغا يصل حد الكمال لقد كان يحاكي شكسبير حين يصفها لي.

لكن رغم هذا الوله هو لم يظهر امام الآنسة (سبيل)، أي من مشاعره وبقي لها صديقا وأخا وفيا، حين وصل اركافيل الى وجهته وجد سبيل مع بنات الاسرة

يلعبن الورق وكان يبدو انهن وسط نقاش مهم حتى انهن لم ينتبهن لدخول اركافيل، لقد كن جالسات تحت الصفصافة ذاتها التي رآها في اول لقاء لهما، حين دنا اركافيل منهن انتبهن لوجوده، فأقبلت كل واحدة منهن تحييه فأمسكت بيديه واجلسته بينهن وسط ضحك وأصوات النساء المرحة والفرحة بمجيئه، جلس هو متوترا قليلا فجرته إحدى الفتيات ليجلس بجانبها وهي الآنسة (قمر) وهي فتاة في الرابعة عشرة من العمر، ذات قامة طويلة وشعر أجعد قاتم، في تلكم اللحظة كانت هذه الآنسة الصغيرة متوترة هي الأخرى رغم ما كانت تظهره من هدوء ورزانة، قمت بإعادة توزيع الأوراق ليشترك اركافيل معهن هذه المرة، وكانت هذه فكرة (سبيل) في وسط اللعبة التي كانت تشتد بين سبيل وقمر هتفت احدى الموجودات من الصديقات قائلة:

ما الذي جاء بك اركافيل؟

- لماذا اسمع هذا السؤال أينما ذهبت؟ هل انا غير مرحب بي لهذا الحد؟
- لم اقصد انه غير مرحب بك لكن ظننت انك اتيت لشيء مهم.
- أنا فقط جئت الى هنا لأرى سبيل

- قال اركافيل هذا وهو ينظر الى سبيل التي كانت منغمسة في اللعبة

- أجل مؤكد سبيل وهل لكم غير سبيل؟

هكذا قالت قمر وهي تلقي الورق وتنظر الى سبيل بشزر وهذا جعل الجميع يصمت ما عدا واحدة من الموجودات

لم تصمت عدا كواكب وهي صديقة سبيل، قطعت الصمت بسخرية وهي تقول:

هل تغارين يا قمر؟ وانا التي ظننت انك كبرت على هذا اوه، يا للعار عليك ان تخجلي من نفسك.لم تكمل كواعب كلامها حتى صرخت عليها اخت قمر الكبرى شمس لتوقفها عن إهانة اختها قائلة:

- انت اخرجي حالا والا شددتك من شعرك واخرجتك بالقوة، نهضت قمر وراحت تضرب الطاولة التي كانوا مجتمعين حولها، وتحول وجهها الى اللون الأحمر، لابد ان كلام كواعب احرجها امام اركافيل، فقد

كانت مشدودة اليه، والجميع يعلم ذلك، فبدأت تتكلم على غير هدى وتصيح:

- لتحل اللعنة عليها، وعليكِ ، كيف ومن اين اتتكِ هذه الجرئة لتهيني في عقر داري ايتها المتملقة، ومن ذا الذي قد يغار من قذرة مثل هذه، هي حشرة ادوسها بحذائي، حمقاء اسكنتها أمي عندنا شفقة بحالها كي لا تبقى مشردة، صمت الجميع هذه المرة فقد ظلوا مذهولين مما صدر عن الآنسة لطيفة

نهضت سبيل على مهلها واطفأت السيجار الذي كانت تدخنه بكل هدوء، واخذت كأس الماء التي امامها ورشته على قمر، وجعلتها تبدو كالعصفور المبلل ومن شدة صدمتها صرخت قمر بملء صوتها، فوقف الجميع ليمنع استمرار هذه المهزلة، ولكن قبل تحركهم صعدت قمر على الطاولة وزحفت كالمجنونة الى ان وصلت لسبيل فشدت شعرها فقامت سبيل أيضا بشد شعرها وسط صراخ النسوة.

عضت سبيل قمر فوقعتا على الأرض كلتاهما تضرب كل واحدة منهن الأخرى.

جرت قمر عقد اللؤلؤ الذي تلبسه سبيل وقطعته، فقامت سبيل تمسح وجه قمر بالأرض وتزيل على وجهها كل مساحيق التجميل.

حتى اركافيل لم يستطع الفكاك بينهما، فهرعت والدة قمر اليهن حينما سمعت صراخهن وبمساعدة اركافيل استطاعوا ابعادهما عن بعضهما، وبعد ابعادهما صرخت والدة قمر وقد أصابها الحنق الشديد

- كيف تجرأتما لقد كللتماني بالعار وراحت تخبط الأرض برجلها فبدأت قمر تبكي وتقول:

- لقد اهانتني عزيزتك سبيل امام الجميع هذه من أكرمتها.

- سبيل لا اصدق انها اصغر منك بسنوات، كيف لكِ أن تفعلي كل هذا بصغيرتي بعد كل ما فعلته من اجلك.

لم تتحمل سبيل كل هذا الكلام فبدأت تضرب الأرض برجليها حنقا وهي تصيح.

- اركافيل، اركافيل خذني من هذا المكان بسرعة، خذني الى أي مكان، الى منزلك أو أي شيء انا لن ابقى هنا أبدا، ولن اضع قدمي على ارض هذا المنزل ما حييت، ولتذهب قرابتي بكم الى الجحيم.

- خيرا فعلتي اذهبي فانا لا اريد إيواء ناكرة جميل في منزلي ومع ابنتاي، وليخرج كل من له صلة بهذه الافعى

-

امسك اركافيل يد سبيل، وجرها معه دون ان يتكلم، وخرجت صديقة سبيل خلفهم، خرجوا جميعا تاركين منزل السيدة مرج في فوضى عارمة.

كان اركافيل في اوج حالته العصبية، فاخذ سبيل أولا الى الحديقة العامة لكي يهدئ قليلا، راحت سبيل ترتب مظهرها بعد ما عاشت به الفوضى من الشجار

- وكأني كنت في عراك مع قطة، وليس فتاة، قالت سبيل هذا وهي ترتب شعرها مما جعل اركافيل يلتفت اليها بسرعة، بعدما كان مطرقا رأسه، فقال:

- ما بالك سبيل؟ هل مسك الجنون، لماذا فعلت كل هذا؟ ما الداعي لكل ما حدث؟ ومن ثم ان قمر فتاة صغيرة استبدت بها الغيرة قليلا واحرجت مما قالته صديقتك عنها، لهذا قالت ما قالته، لم يكن هنالك داعي لكل ما حدث، كنت ردي عليها بكلمتين مثل التي قالتهما، حسنا لا تنظري الي هكذا، فأنا أتكلم من اجلك فقط، صدقيني لا احب ان أرى سبيل العزيزة بعد هذا الحال بسبب كلام طائشة.

- انت لا تعرف شيئا ابدا، فهذه ليست المرة الأولى حسنا، ان كلامك صحيح جدا لكن لي اسبابي، ان تلك التي تدعى قمر كانت منذ الشهرين الماضيين ما تنفك تضايقني، مشهرة سلاحها وهو لسانها الطويل في وجهي حتى انها شتمتني شتائم لفرط بشاعتها لا يمكن إخبارك عنها، وانا ما الذي فعلته برأيك اكتفيت بالسكوت، نعم لقد سكت، وكأنني لم اسمع شيئا، ولم تكتفي بهذا انها تشوه صورتي امام من هب ودب

- لكن لماذا؟ تفعل كل هذا لابد من وجود سبب، اعني

- ماذا تعني؟ الم تنتبه انها تغار مني، لانني الفت الانتباه، اركافيل دعني من هذه النكرة الآن، فهي لا

تستحق ان نتكلم عنها، اسمع سأذهب مع كواكب وسأبقى معها في سكن الطالبات اما انت فاذهب الى منزلك فقد عشت يوما سيئا معنا

- لا، لن تبقي مع صديقتك الأفضل ان تاتي معي الى منزلنا وخالتي سترحب بك بكل تأكيد، بل ستسعد بمجيئك

- لا لن آتي معك بسبب مجيئي قد يكون محرجا بالنسبة لكم

- لا تقلقي فمنزلنا كبير جدا وفيه غرف فارغة، يمكنك البقاء فيها وانا لا اقبل أي اعتراض.

- حقا، قالت سبيل هذا بتحرج، وصوت منخفض

- اجل هيا لنذهب

- لكن ماذا عن اغراضي من سيأتي بها؟

- سنهتم بأغراضك لاحقا هيا لنذهب ونعرفك على خالتي والباقين.

- حسنا ماذا عنك كواكب؟ لماذا انت صامتة، هذه ليست عادتك؟

- لا لشيء، لكن ما حدث اربكني قليلا اسمحي لي انا ساهرة منذ أمس، وشعرت بالدوار الآن لهذا سأذهب وداعا.

بعد خروجي من المنزل، لم اعرف الى اين اذهب، كنت اسير في الشارع على غير هدى، لم أظل طريقي لكني كنت شاردا، في لحظة ما وبعد سير طويل وقفت امام متجر لبيع الأزياء، وقفت هنالك طويلا أتأمل من يدخل ومن يخرج، أحب التأمل بالآخرين خصوصا، من لا أاعرفهم، وأحاول أن أحزر بم يفكرون؟

عدت إلى الواقع بعد ان قام احدهم بوضع يده على كتفي، مما افزعني وحين التفت لأرى فوجئت بأنه اركافيل والآنسة سبيل.

- لماذا كنت تقف هناك كالأحمق؟ الى مَ كنت تنظر؟
- قال اركافيل: هذا ونحن الثلاثة نسير معا.

أجابت سبيل بدلا مني وهي تنفث دخان السيجار الذي تمسكه بين اصابعها وتضحك.....

- لابد انه كان يراقب السيدات اللواتي عند المتجر

- لن تصدقي، لكن بسانيو ليس شخصا ملما بهذه الأمور.

- اوه، رائع لا يصادف المرء شخصا مميزا كهذا، إلا نادرا، احييك من كل قلبي.

- شكرا آنستي على كلامك اللطيف

- اركافيل ابن خالك الطف مما وصفته لي بيد انه طفل حقا، عذرا ميخائيل لا اقصد الإهانة.

- عمره ٢٧ ايتها المتحذلقة

- لا يزعجك وصفي لك بالطفل، أليس كذلك؟

- لا ابدا، فانتِ لست أول من يصفني بهذا الوصف

وأنت أركافيل توقف عن الجري، لا يمكننا اللحاق بك

- أنا لا اجري بل اسير مسرعا لأننا بالكاد نصل

- إلى اين؟ قالت سبيل، فالتفت اركافيل اليها وابتسم

قادنا اركافيل إلى مقهى يقع عل ضفاف نهر، وكان مقهى رائعا جدا، ورغم بساطته قد لا يعجب الكثيرين، لكن انا عن نفسي اعجبني فهو ليس مزدحما او فخما، انه واسع والهدوء كان طاغيا على المكان، قد كان هنالك نوافذ كبيرة مع ستائر زرقة البحر، ان من يدخله يجذب مباشرة الى هذه النوافذ، فقد كانت تطل على النهر مباشرة وكانت الأشجار المزهرة تحيط النوافذ من كل جانب باختصار، كانت امامي لوحة فنية رائعة، لم يكن بمقدوري عدم التكلم عنها، بسبب ما تركته بي من أثر جميل.

استقبلتنا عند الدخول نادلة في المقهى، وقادتنا الى احدى الطاولات الفارغة، عند احدى النوافذ واقد اتضح ان اركافيل والنادلة،يعرفان بعضهما فأركافيل دائما ما يتردد الى هنا، بقيا يتحدثان مطولا، بينما بقينا انا وسبيل نلتزم الصمت، لأننا لم نفهم عما كانا يتحدثان، ظلت سبيل تجيل بنظرها هنا وهناك، بنفاد صبر منتظرة اركافيل لينهي حديثه مع النادلة، وبقيت انا افكر بما يمكن ان افعله في موضوع ذلك الرائد.

- ما الأمر، قالت سبيل، ثم أكملت تبدو شارد الذهن.

- حياتي تملؤها التعقيدات، واليوم ظهرت عقدتين أخريين

- لا تفكر كثيرا فهذا لن يفيد، لكن اخبرني قد اقدر على المساعدة.

- من أين أبدأ؟ لدي مشاكل مع جدتي وأود أن اصلحها، والمشكلة الأخرى اصعب، فقد أهان احد اختي

- لحظة واحدة، انها رسم تعرفينها ولديها مشكلة

- مؤسف حقا سماع هذا ولكن الأمر

- زارني اليوم شقيقها الحقيقي وباعتباري اخوهما الأكبر طلب مساعدتي بمعرفة عنوان احد الأشخاص ليقوم بمعاقبته، لأنه تجاوز على اخته أمام الجميع، الموضوع معقد

- انه حقا يوم جميل، قال اركافيل.. هذا بعد ان ذهبت النادلة.

- نعم انه كذلك، اجبت على مضض

- ما رأيكما بالمكان، أليس جميلا؟

- عن نفسي أعجبني، أشعر انه محاط بهالة شاعرية
- قلت أنا ذلك، فأردفت سبيل
- أنا أيضا أعجبني، اعتقد انني سأتردد الى هنا كثيرا في الأيام المقبلة
- لم ترو شيئا، عليكم أن تتذوقوا ما طلبته لكم من شاي وكعك
- قال اركافيل: ذلك، فقالت سبيل نكمل حديثنا
- وماذا ستفعل انت يا ميخائيل؟
- لا أعرف فالأمر معقد جدا بالنسبة لشخص مثلي
- اذكر ان اركافيل اخبرني ان لها اخا يكبرها، وقد عشتم انتم الأربعة في كنف جدتكم او عمتكم، اليس كذلك؟
- صحيح هو كذلك
- والأمر الآخر ان لم يزعجك الحديث أود أن تحدثني ميخائيل، ما مشكلتك مع جدتك؟

- لا بالعكس، لا يزعجني الحديث عن الأمر، اسمعي قبل مدة بعيدة قررت ان اتبع حلمي وأصير ممثلا لكنني حين اخبرت جدتي، للكِ ان تحزري، قلت ذلك ضاحكا ثم أكملت، قامت الدنيا ولم تقعد وطلبت جدتي مني ترك الامر برمته، بحجة انه تهريج، وسيجلب العار، لإسم الأسرة، وان على رجال الأسرة ان لا يكونوا مرهفي الإحساس، وحين لم امتثل لأوامرها، اعطتني اختيارين اما الخضوع لإرادتها، او التبرؤ مني.

وأعني بالتبرئ ان اخرج من المنزل، ولا اعود ثانية او حرماني من الميراث تماما

- هذا مؤسف، أي مجنونة هي جدتكما؟ نحن في القرن العشرين، وما زالت تفكر باسم العائلة، اكره هذا حقا، عليك ان تكون مشابها لهم، والا اعتبروك حالة شاذة، وهذا بحد ذاته تطرف، ولو ان هذا وذاك فكر مثل جدتكما، لصرنا جميعا متشابهين، بل سنكون كالقطيع التي تتبع الراعي، أي فرد واحد يسيطر، وهكذا لن تتطور الشعوب بل ستظل كإنسان الغاب

وقفت سبيل منتفضة وضربت بكفي يدها على الطاولة وصرخت:

- هذا يعني انها مستبدة

- اهدئي سيسمعون، قال اركافيل، هذا وهو يستحث سبيل على الجلوس بعد ان انتبه الى حديثنا، قالت سبيل:

- آسفة، لكن هذه المواضيع تشعل قلبي شررا أحيانا

اشعر اني سأبكي من الغضب، لكن اخبراني ما موقف عمتكما من هذا الموضوع؟

أجاب اركافيل لم تتدخل في هذا فهي تخشى جدتي

- وأنت ماذا فعلت؟

- أنا حاولت ان اصلح الموقف لكن هذا اغضبها، فأرسلت بطلب السيد جبيل كي يوظفني عنده، خشية الا يجرني الطيش الى ما اخذ اليه ميخائيل

- عائلة غريبة، اتعرف انكم جميعا تمثلون وبحسب رأيي مشكلات المجتمع

- ماذا تقصدين، وكيف هذا؟

- ما أقصده ميخائيل عزيزي، انك تمثل فئة الأشخاص المتمردين على العادات في المجتمع، ويطالبون بالحريات، اما الجدة فهي تمثل الفئة المستبدة، التي تحاول فرض معتقداتها والسيطرة على الجميع، أما اركافيل، فيمثل الفئة التي لا تخرج عن طوع الفئة او الجهة المسيطرة، ولكنه وفي الوقت ذاته يؤيدون فئة المتمردين، او لتسمهم الثوار على العادات والقيود، والفئة التي يمثلها اركافيل هم الأكثر تأثرا بالمشكلات، اما العمة فهي تمثل الفئة الأسوء في رأيي، انها الفئة التي لا تتدخل، وهذه الفئة تفضل مصالحها على مصالح الآخرين، وان يكون الأمر على حساب قول كلمة الحق، وهذا هو الخبث بحق.

- في رأيي ان خيالك واسع، انها مجرد مشكلة صغيرة، وستحل في هذه الفترة، كل ما في الأمر ان جدتي غضبت، لأن لها رأيها في مثل هذه الأمور، اما نحن فقد اتخذ كل منا موقفا معينا

- اوه، اتسمع ميخائيل؟ ماذا يقول قريبك المتبجح، يا إلهي؟

- اخبرني اين درست؟ هذه المشكلات تمثل المجتمع برمته، فأنت وأنا وميخائيل والجميع جزء لا يتجزأ من المجتمع، هل تفهم؟

- برأيي، كل ما قلته منطقي تماما، بل هو جميل، ويستحق الإصغاء

- اوه، رائع ميخائيل يفهمني تماما، اسمع ميخائيل منذ اللحظة نحن صديقان، مقربان، قالت ذلك وهي، تشد على يدي

- بكل تأكيد نحن كذلك
- هل علي ان أحاول مجارات ميخائيل الآن؟
- نعم، عليك ذلك
- لكنك وصفت عمتي بالشريرة وهي ليست كذلك
- انت مضحك، هل هذا ما لخصته من كلامك

أولا ، انا لم أقل انها شريرة بل قلت انها تمثل فئة تفضل مصلحتها، وهذا رأيي بكل وضوح

- لقد كانت عمتي وما زالت مسؤولة عن أربعة أبناء انا وميخائيل وأسس ورسم، فأين المصلحة في هذا؟

- هل انت غبي لهذه الدرجة، هل انا وصفتها بحد ذاتها، اركافيل انتبه، لأني لن اعيد كلامي وان جادلتني

- سأصفعك، انا احذرك منذ الآن، اسمع في المشكلة التي حدثت بين ميخائيل والجدة كل منكم اتخذ لنفسه موقفا حسنا، وهذه المواقف مثل مواقف يتخذها فئات من المجتمع عند حدوث خلاف وانتهى الكلام بعد كلامي

- حسنا كلام منطقي، قال اركافيل هذا الكلام مستسلما

- أمم احسنت، والآن اطلب لنا شيئا آخر نأكله فما قدموه هنا لذيذ، قالت سبيل: وهي ترتشف الشاي عل مهل

لقد كان جدالهما لطيفا بالنسبة لي وقد بقيت صامتا، انظر اليهما مبتسما، فالتفت اركافيل إلي وقال:

ولكن لماذا خرجت وكيف تركتك خالتي؟

اشعر ان انفاسي ثقيلة منذ يوم رامس، وقد ازداد هذا اثقل منذ قليل، لهذا اردت الخروج واستنشاق هواء جديد وقد خرجت دون علم عمتي

- سوف آخذ سبيل الى خالتي لهذا تعال معنا.......

- عمتي: اقدم لك سبيل، قريبة السيدة مرج، وصديقتنا انا وميخائيل، قال اركافيل، هذا وهو يقدم سبيل الى عمتي

- فأجابت الأخيرة:

لقد التقينا قبل هذا، لكن لم يسعني التعرف عليها بشكل جيد.

اخذ اركافيل عمتي الى جنب واخبرها بضرورة بقاء سبيل عندنا، هذه المدة الى ان نجد سكنا مناسبا واخبرها عن المشكلة التي وقعت بين سبيل وبنات مرج، وقد فاجأني ان عمتي وافقت على بقاء سبيل من دون ان تستشير جدتي بالامر، لكنها وضعت شرطا لبقائها وهو الا تدخن داخل المنزل، فعمتي عرفت مسبقا بتدخين سبيل، اخذت رسم سبيل الى الغرفة التي ستقيم فيها، وراحت تجهزها.

اما اركافيل فذهب الى غرفته وبقيت انا وعمتي جالسين من دون حديث، بقينا صامتين برهة، فرفعت عيني لأرى وجه عمتي وقد تغيرت ملامحه، واصفر تماما، هرعت بسرعة وأمسكت يدها واردت اتيانها بكوب ماء، فمنعتني قائلة:

- ابقي الى جانبي
- لا تبدين بخير دعيني آتيك بكوب ماء
- انا بخير، لا اريد شيئا انما اريد التحدث معك
- اخبريني ما الامر؟
- ليس هنا لنذهب الى غرفتي

أمسكت بيد عمتي وصعدنا الدرج، لقد كانت تبدو متعبة، واكبر سنا، مما هي عليه، في اثناء صعودنا كنت انظر الى التجاعيد التي ملئت كفيها، والضمور الذي على وجنتيها، وتلك الخطوط تحكي ما قاسته من ألم، لقد آلمني التفكير بأن عمتي بدأت تصير عجوزا.

وصلنا إلى غرفتها، وقبل دخولنا نظرت عمتي باتجاه غرفة جدتي بوجه لا يفسر وبوجه يملؤه الخوف، الحزن، الغضب في آن واحد، لقد كانت تبدو يائسة.

دخلنا الغرفة وجلست انا على مقعد بجانب النافذة، اما هي فراحت تبحث ما بين اغراضها في الخزانة، لقد كنت اشعر ان يأسها يجثو فوق صدري، وكأن قبضتيه تمسك برقبتي وتخنقني حتى الموت، كنت اشعر في تلكم اللحظة ان مصيري يقف على ما ستقوله عمتي لي.

اقتربت مني وفي يديها صندوق معدني جميل، فتحته فأخرجت أوراق تبدو وثيقة ووضعتها بين يدي وقالت:

- غدا سيحضر السيد جبيل بطلب من جدتك، وكما تعلم انه المسئول عن الأمور القانونية، التي تخص عائلتنا.

سكتت برهة ثم تنفست الصعداء وأكملت تسأل:

- لم تفهم صحيح؟

بقيت صامتا انتظر ان تكمل حديثها فراحت تجلس على السرير وتكمل:

- بما أن جبيل قادم، فهذا يعني ان امي قررت ان تكتب وصيتها

- هذا محزن حقا قلت هذا واطرقت رأسي الى الأرض

- هذا ليس ما يقلقني بني!!

- اذن ماذا يقلقك؟ اخبريني فأنا بدأت اقلق

- اليوم حين خرجتَ انت من المنزل، انا دخلت غرفة أمي

وتكلمت معها في أمرك مطولا، ولكن من دون جدوى حتى انها صرخت علي وغضبت بل جن جنونها، فنهضت وتواصلت بالسيد جبيل، وطلبت ان تراه، وبرأيي ان هذا يعني انها ستقوم بتقسيم الميراث

- هل ما يحزنك هو رفض جدتي الصلح معي؟

- ميخائيل، الا تفهم انت ستحرم من الميراث عزيزي

- وان يكن فلأحرم، فهل هذا مهم، هل سينقص عمري

- لا لن ينقص، لكن ستعيش محروما من كل شيء

- عمتي هل تظنين اني حينما ذهبت من هنا سوف لن أعيش كما اريد، كنت أتوقع ان احل عل ميراث، ثم ها انا أعيش دونما مساعدة من جدتي.

- مذ كنت صغيرا والى الآن وانت عل هذه الحال، لا تتغير كنت عل عكس اقرانك دوما، كان اركافيل يعلم ماذا عليه ان يفعل، وما زال يندمج مع من حوله بسهولة، اما انت فقد كنتَ تعزل نفسك عنا وعن الجميع، تتصرف كعليل العقل، كنتُ دائما قلقة عليك لأنك لا تعرف اين تجد مصلحتك يقودك هواك، لهذا أحاول الاهتمام بك، اكثر من الجميع، وعاطفة الامومة لدي تجاهك اقوى من الآخرين.

سحبتني عمتي من ذراعي وجعلتني اركع امامها فبدأت تمسح وجهي وهي تبكي وتقول:

- انتَ ولدي الذي لم ألده، انت اغلى من الباقين عندي، واظن ان امي ستدون شيئا في وصيتها يمنح أيا منا عطاء، لهذا انا اعطيتك هذه الأوراق التي في يدك

- ما هذه الأوراق؟

- قبل ان يموت والدي، اعني جدك اهداني منزلا بمناسبة ما ولا اذكر ما هي، الآن عقد المنزل عندي، الى الآن رغم اني لم ار المنزل الا مرة واحدة، لكني لم أبعه بل تركته، لأنني ظننت اني سأحتاجه يوما ما وها هو اليوم قد اتى، انا سأحوله لك، افعل به ما تشاء، بعه وتصرف بأمواله، او اسكن به وافعل ما اردت، انا اردت ان اعطيك إياه، قبل الآن لتسكن فيه، لكن جدتك رفضت، وقالت ان هذا يشجعك على التمرد، ولكن الآن انا لم اسمع اليها، لأنها لن تعلم ، لذا اقبله مني.

- شكرا لكِ حقا، ولا اعرف كيف أريك امتناني، ولكن لا استطيع قبول شيء كهذا، حتى وان اصريتي علي، انا لن آخذ هذا المنزل ,ولن آخذ شيئا آخر، لا تقلقي علي عمتي لأني او بالأحرى لم افكر يأني سأحصل علي شيء، من الميراث او غيره، ولكن لأصدقك القول، لقد توقعت، ولو كان احتمالا بسيطا، لكني وضعته نصب عيني، وهو اني سأصالح جدتي وما قلته اشعرني بالأسف لعدم رغبتها برؤيتي، سكت لثواني معدودة ثم تنفست الصعداء وقت ارجوك عمتي لا تحزني، فحزن آلمني اكثر من أي شيء آخر، وحالك هذا يقلقني

- آه يا بني، الحياة ليست عادلة مع كلينا، شرعت عمتي بالبكاء، وهي تقول:

- لقد عانيت الامرين منذ صغري ولا اذكر اني كنت سعيدة، الا أياما قلائل، ولم يكن لدي احد اشتكي اليه حالي، بل بقيت أتألم لوحدي، وها انت مثلي قد عانيت منذ صغرك، لهذا كان اهتمامي بل مضاعفا وثق بأن لك كتفا تتكئ عليه متى شعرت بالحاجة لذلك، بني انا دائما معك ولن ادعك تشعر بانك وحيدا ابدا، لم استطع التكلم لقد تأكدت ان عمتي أصابها شيء سيء لكني لا اعرف ما هو، وقعت عقد البيت الذي اعطتني إياه عمتي وقبلت يديها وخرجت مسرعا كي لا ترى عيني دامعتين.

كانت الفتاتان رسم وسبيل جالستان في الحديقة حينما خرجت، اطفأت سبيل سيجارتها مسرعة حين رأتني ظنا منها ان عمتي من أخرجت.

- يمكنك ان تدخلي كما تشائين، سبيل لان عمتي لن تنزل الآن، قلت ذلك وانا اجلس بجنب رسم، لقد ازعجتني سبيل وهي تدخن ضاربة عرض الحائط وصايا عمتي، في العادة انا لا اهتم لأمور مثل هذه لكنني

انزعجت تماما، ربما كنت مشوشا بسبب ما حدث وما قالته عمتي، لهذا بقيت صامتا انظر الى الغيوم الملبدة وسط ثرثرة الفتيات.

من الرائع وجود اخواي الى جانبي مرة أخرى، هكذا لن اشعر بالحزن ابدا مهما كان الامر، قالت رسم ذلك وهي تنظر الي نظرتها الطفولية نفسها نظرة حزينة، مع ابتسامة صغيرة تظهر غمازة على خدها الأسمر على الجانب الايسر من وجهها، لقد شعرت بحرارة جسدي، وهي ترتفع مع كل كلمة قالتها رسم شعرت بأن اسناني تتحطم وتخترق بعضها بعضا، وكان الغثيان يستولي علي كليا، اذ كان الجو أيضا خانقا رغم نسماته الباردة عيناي صارتا ساخنتين، وددت لو أطفأتهما كما أطفأ المذياع، اغمضتهما حين شعرت بجسدي يتهاوى وسمعت صراخ الفتاتين.

- لابد انك عليل، قالت رسم فأجبتها وصداع يأكل راسي،

- لا لست كذلك، لكن اليوم كان متعبا منذ بدايته.

- لقد شعرنا بالقلق عليك، أغمي عليك فجئة فذهبت سبيل لاستدعاء اركافيل وأسس، فأتيا وحملاك الى غرفتك، والآن عمتي تستدعي الطبيب

- حقا رسم لا داعي للطبيب أنه مجرد تعب

- دخلت عمتي إلى غرفتي وخاطبت اركافيل

- اركافيل أخبر مديرك أن لا يحضر غدا لا هو ولا من معه

- نعم أخبره بذلك أخبره لا أريد أحد أبدا فذهب إلى الجحيم إياه أن يحضر

- اهدئي عمتي أرجوكِ اجلسي هنا وسأحضر الماء قالت رسم وهي تساعد عمتي على الجلوس

- نعم أيتها العزيزة آتي بالماء

- دنا اركافيل من عمتي، أمسك جبينها وقال

- يبدو أنك الأخرى مريضة

- هل أنا كذلك

- نعم حرارتك مرتفعة حسنا لا بأس أعطيني يدك وسأخذك لتنامي وترتاحي

- لكن من سيعتني بميخائيل لا هذا لا يصح سأبقى هنا

- أنا سأبقى عنده لا تقلقي وسبيل وأسس ورسم هنا أيضا

- هز كل من أسس وسبيل ورأسيهما بالإيجاب لعمتي فقلت أنا

- لا بأس يا أصدقاء أنا بخير يمكنكم أن تذهبوا إلى النوم

- لا هذا لا يصح سيأتي الطبيب لينظر وسيبقى الأربعة عندك والآن اذهب للنوم

- حسنا كما تحبون فلتبقوا

أخذ اركافيل عمتي لتنام في غرفتها سمعتها وهي خارجة تقول

- اركافيل قد يحل أمر مديرك لا تنسى إياك والتخاذل

- حضر الطبيب وقام بفحصي أخبرني إني بخير وما حدث هي حمى بسيطة وكتب لي بعض الأدوية وطلب مني الراحة ترجيت الجميع أن يذهب للنوم وتركي وقد وافقوا بالكاد الا رسم فقد أبت أن تذهب قبل أن تراني نائما كنت فجلست تقرأ كتابا قرب النافذة بينما استغرقت أنا في النوم.

- كنت أسير في الطريق المؤدي إلى مدرستي القديمة، العجب ما الذي أفعله هنا ولماذا أشعر أن جسدي أنحف وزننا وأصغر حجما رباه، لماذا قلبي يرتعد خوفا وتيبست قدماي، صحيح أنا اقترب من ذلك المنزل لطالما كان مصدر رعب بالنسبة لي ها أنا اقترب أود أن أصرخ لكن لماذا يا إلهي فلتعطني القوة، لكن لماذا الطريق خالية لا أحد يمشي ولا صوت يسمع إلا صوت الرياح الآتي حتى السماء تبدو غريبة ليست كعادتها مشرقة إنما لونها بني وكأن عاصفة ترابية قد لبستها.

- استمريت في طريقي حتى اقتربت من ذلك المنزل يا إلهي كنت سأكمل الطريق ولكن ليس لحما قاتي نهاية فرفعت رأسي إلى أعلى المنزل فالتقت عيناي بعيون ثلاث نسوة ينظرن من الشرفة لقد كنا متشابهات بدينات بدانة مفرطة ولونهن حنطي مائل إلى الزرقا و شعرهن أشعث والحفر تملأ وجوههن، ذوات اسنان صفراء غير متناسقة، ويلبسن ملابس متشابهة، بألوان مختلفة، حين رأيتهن ينظرن نحوي شعرت ان لوني قد خطف بلمح البصر، وصرت شاحبة، اردت ان اكمل سيري لكن زعقت علي احداهن بصوت جهوري طالبة مني ان اصعد

وجدت نفسي مقبلا عل تلك النسوة، في سطح منزلهن حيث يجلسن، لا اذكر كيف دخلت المنزل، كل ما اذكره درجات السلم التي صعدتها.

كن يجلسن على الأرض مادات اقدامهن الكبيرة، وفي حضن كل واحدة منهن زجاجة، عشرات الزجاجات الفارغة، وقد كان السطح مليء بالقطط والكلاب الخائفة الحزينة وكانت أجساد هذه الحيوانات نحيفة بشكل مخيف، نهضت احدى النسوة وهي تضع يديها على الأرض وأتت راكضةنحوي، فشدتني من ذراعي ورمتني بين الأخريات، فقامت احداهن ووضعت عنق الزجاجة في ابهامي وبدأت تشدها الى الخلف، حتى كسر ابهامي، كنت اصرخ كالمجنون، لكن من دون جدوى.

رحن يتبادلن الأدوار بكسر اصابعي على الطريقة ذاتها وهن يتضاحكن بأصوات كأصوات الرجال، كسرن لي تسعة أصابع، ولم يتبق لي الا سبابة يدي اليسرى، وقبل ان يكسرنه دخل رجل اشد منهن رعبا ونحيف، طويل، ذو لحية كثة، وملابس قذرة، وعينان جاحظتان، ووجه طويل خاسف، ورائحة الشراب تفوح منه، سحبني من بين

ايديهن، وبدأ بصفعي مرات عديدة، فلم يكفه هذا فقام بحملي من شعري، وهو يصيح بكلمات لا افهمها فرماني من السطح الى الشارع.

استيقظت قبل ارتطامي بالأرض فزعا، كنت اتصبب عرقا وجسدي يرتعد خوفا، وألما كنت اتنفس بصعوبة ويداي ترتجفان، تساءلت بتوتر.

- لماذا هذا الكابوس يا إلهي هذا مخيف لقد رأيت هذا من قبل حين كنت ابلغ من العمر خمسة أعوام كنت حينها أعاني من حمى شديدة حتى ظن الجميع أني سوف أموت لا محالة لكن في المرة السابقة لم تكن للحيوانات التي رأيتها وجود ولكنه الحلم ذاته لا يختلف إلا بهذه التفاصيل، بقيت على وضعي لا أتحرك بسبب الرعب نمت مرة أخرى دون أن أشعر، حل الفجر وبدأ يرسل خيوطه الذهبية إلى غرفتي عبر النافذة مما ساعدني على الرؤية قليلا، نهت على مهل من على سريري فقد كانت قدماي كالمخدرتين، رتبت ملابسي وسرت بهدوء حتى خرجت من المنزل.

- حين صرت خارجا شعرت بنسمات فجر مارس تحتضنني وهذا هدأ من وطأة الكابوس الذي رأيته واليوم الماضي الذي عشته بدأت بالتنفس أخيرا ولقد تغير حالي الآن عما كان، ها انا ذا أشعر بهدوء وسلام داخلي غريب يمكن أن يكون هذا بسبب طبيعة الفجر التي توحي بالسلام.

وجدت نفسي أقف أمام باب أحدهم وقد طرقته سلفا لم اكن أعلم كيف وصلت ولا ماذا افعل جل ما اذكره إنني استمريت في السير وسط أفكاري وهواجسي نظرت في ساعت يدي لقد كانت تشير إلى الخامسة والنصف فجرا.

طرقت الباب مرة أخرى لكن هذه المرة بقوة أكبر من سابقتها وبقوة أكبر استمريت بالطرق حتى فتح لي الباب وأطل منه شاب طويل محدد الفك ذو عينان بنيتان كبيرتان وانف حاد طويل كان على مستوى عال من الجمال يتمتع بحظ كبير من حيث الوسامة.

نظر إلي بنظرة مليئة بالاستعلاء والدهشة في آن واحد، لم احزر ان كان قد عرفني ام لا حينها، لقد كان هذا الشخص هو ذاته الرائد ليل.

- ماذا تريد؟

قال ذلك بنبرة تشي بنفاذ الصبر

لم أجبه، بل لكمته على انفه مباغتة نعم أنا ميخائيل الذي لا طالما كرهت العنف لقد عملت هذا ولم أكتفي بل جلست فوقه بعد انتهاء من ضربة الأولى ووجهت إليه ضربة ولم أكد أوجه الثالثة حتى امسك بياقة قميصي وجذبني إلى الأرض فتبادلنا الأدوار وهو هو الآن فوقي يبرحني ضربا وبطبيعة الحال كانت قبضته أقوى وأكبر من قبضة فهو رائد أما أنا ممثل مسرحي وشاعر.

راح يضربني حتى خارت قواه، كان وجهي ملطخ بالدم سحبني إلى الداخل ودفعني بكل قوته على إحدى الارائك الموضوعة في حجرة الصالون، أخرج مسدسه المزخرف من إحدى الإدراج ووجه فوهته علي وصرخ يقول بأنهاك

وابتسامة خبيثة، ما الذي حملك على فعل هذا؟ ها.... تكلم

ارجعت راسي الى الخلف واغمضت عيني وقلت بهدوء

- افعل ما شئت

- انت عرفتك، الست الفتى مرهف الإحساس ميخائيل؟

- حزرت رغم غبائك

- لماذا فعلت هذا اجب فقد نفد صبري

- هذا جزاء من يهين عزيزا علي

- نهضت من مكالني ووقفت وجها لوجه معه واكملت

- لقد آذيتها اختي رسم ويجب ان تعاقب

- فهمت الآن: قال ليل ذلك وانزل مسدسه وراح يجلس على الاريكة ورحت اتابع بطرف عيني غروره المفرط، قال بلهجة ساخرة

- لقد أخطئت لكن دون قصد، قال ذلك مطرق الرأس ثم اكمل، كن على ثقة بأني سأعتذر لها وأمام الجميع

- أخطئت، حقا يا الهي رحماك، يخطئون خطأ فاضحا وبعدها يعتذرون، عليك ان تفهم ما يكسر لا يمكن إصلاحه

- لا يهمني رأيك، اني تفضلت عليك بانني لم افرغ بارود مسدسي برأسك، لهذا لا تكثر الكلام

- انت تظن ان كلامك يخيفني، حسنا لكي اخبرني لماذا فعلت شيء بهذه الوضاعة، اتعرف ما قد تعانيه فتاة تهان من أجل أخرى

- من أجل ماذا؟ لحظة واحدة، يبدو ان الأمور اختلطت عليك، فلا احد يعرف سبب فعلتي بالإضافة الى اني لا اعرف تلك الفتاة، لأفعل شيء لأجلها ، كل ما هنالك انني اردت إيذاء عمتك، فانا اشتريت نصف مصنع الشمع العائد لكم وقد اتفقنا، على مبلغ معين، لكن عمتك الماكرة راحت تحرجني امام معارفي وتحاول بلطف زائف تزيد السعر وانا على حماقتي رفضت الامر لكي لا اظهر، بمظهر البخيل، وهكذا بدأ الغضب يغلي بداخلي فأردت ان اخنقها، فرأيت الفتاة قد أخطأت، اذكر

انني سمعت من قبل ان عمتك قامت بتربيتها هي واخيها بعد وفاة امهما فقلت في نفسي، ان إيذاء من تعتبرها ابنة لها سيؤذيها هي أيضا، لكن يا للعجب فهي رغم ما رأت لم تتدخل وكأن الامر لايعنيها انها ماكرة حقا، ولكن لأصدقك القول، شعرت بتأنيب الضمير حقا لما الحقته بالفتاة المسكينة من إهانة

- هراء صحت بحنق وبصقت على الأرض وخرجت من المنزل مسرعا فأطل برأسه من الباب الخارجي خلفي وقال

- انتظرني سآتي خلفك

- لم أجبه بل حركت يدي بتململ دون ان التفت اليه

- عدت الى المنزل اقصد منزل جدتي وكان الدم يغطي قميصي ووجهي وقد نسيت امره تماما، حيث دخلت فوجدت اركافيل ورسم واسس في غرفة الاستقبال، كان التوتر واضحا على وجوههم، وحين دخلت والدم الجاف علي، زدت الطين بلة، فقد هرع الثلاثة الي بخوف

- ماهذا اين كنت ماذا حدث لوجهك؟

- أمطرني اركافيل بكل هذه الأسئلة

- فلم اجد كلاما غير

- مجرد حادث ليس هنالك شيء يذكر

- ماذا تقول، تكلم ما الامر؟، لعلنا نستطيع مساعدتك ثم اين كنت، استيقظت رسم لتتفقدك ولم تجدك فهرعت تخبرنا انا وأسس

- لا اعرف كيف ابدأ، الموضوع معقد، لكنكم ستعلمون لاحقا

- اجبت بهذا وانا اتهاوى على الاريكة، فراحت رسم تجلب حقيبة الطوارئ، لتنظف وجهي من الدم، فضلت أسس واركا فيل يراقبانني بدون ان يفعلا شيء حتى عادت رسم مع الحقيبة فبدأت بمسح وجهي وتعقيم الجروح ووضع الثلج.

- مرت دقائق قبل ان يقول اركافيل:

لا يقلقني ما حل بوجهك بل يقلقني السبب فلو ان أسس عاد بوجه كوجهك، لم أقلق لان الامر طبيعي جدا بالنسبة له يتشاجر يضرب احدهم ويضربونه، لكن من ضربك حقا؟

الحقيقة اني أنا من ضربت احدهم، طرقت باب منزله وانهلت عليه ضربا فقام هو برد الضربة بضربتين، وهذه كانت النتيجة، اشرت الى وجهي بابتسامة بلهاء فدهش الثلاثة مما سمعوا فلم يزيد وهم يضحكون فقال أسس على مهل لا تضحكوا بصوت عال والا استيقظ الباقون.

هل تنتظر منا تصديقك على رسلك فلسنا اغبياء لهذا الحد، هذا ما نطقت به رسم قبل ان يطرق الباب فنهضت انا مسرعا لفتحه قبل ان يذهب أسس

عدت الى الصالون والرائد خلفي فنطق باسما:

- صباح الخير

- فلم يجب احد وظلوا مستمرين في الدهشة فأكمل الرائد يقول:

- اعرف ان الوقت غير مناسب وان وجودي غير مرغوب به، لكن اذا جئت لأمر يبلغ من الخطورة مبلغا كبيرا، يا آنسة انا وامام الجميع اريد ان اعترف باني شخص منحط استحق ان اوصف بأبشع الاوصاف، أجل انا كدلك، والا كيف لي ان اتجرأ على ضرب فتاة امام اعين الناس، انا الذي لطالما دافعت عن النساء ونظرت باشمئزاز الى أولئك الذين يسمون انفسهم رجال وهم ليسوا كذلك، أولئك الذين يضربون زوجاتهم ليشعروا برجولتهم، اجل لا لشيء بل لملئ النقص الكامن فيهم، وفوق كل هذا يطالبوهن بالرقة، أي رقة وسط هذا التعامل، هنالك من يتخذ التأديب ذريعة لضرب النساء وهؤلاء اسوء لانهم امتلؤا بالأخطاء، هتفت رسم تقاطع الرائد بعصبية.

- ما هذا الهذيان؟ وما هذا الخطاب السخيف الذي اتحفتنا به، رباه فلتخرج من هنا فانا لا اتحمل وجودك يا الهي انظر ماذا حل بي فلتخرج.

- لا لن اخرج، اقسم اني لن اخرج قبل ان تسمعي بما سأقوله فانا لم انهي كلامي بعد، لذلك ارجو ان تسمعي.

- منذ تلك الليلة، اقصد الليلة التي ارتكبت بها فعلتي الشنيعة وهي اشنع فعل افعله، انا منذ ذلك الوقت وضميري يعذبني اشد تعذيب حتى زارني منذ قليل محرري من هذا التعذيب وهذا الجبن الذي يعتريني وطالبني بالتحلي بالشجاعة وفعل مالا اقوى على فعله، وهو الاعتذار.

ثم صمت لثواني معدودة، وسط صمتنا نحن أيضا ثم نطق بصوت عذب تلين له القلوب، وعينين لامعتين جذابتين

- انا اعتذر عما بدر مني يا آنسة اقسم ان الامر ليس بشخصي بل كان طيشا وحماقة، ولكِ ان تنزلي بي أي عقاب تودين وسأقبله بكل صدر رحب، ارجو ان تسامحيني وأكرر اني اعتذر من أعماق قلبي.

- ظلت رسم تحدق بالرائد لبعض الوقت اما أسس قد ظل الغضب يتطاير من عينيه حتى ان اركافيل ظل ممسكا به اما انا فق بقيت صامتا، والرائد ظل واقفا حيث كان مطرق الرأس، بانتظار جواب رسم فما كان من الأخيرة الا ان اقتربت، من الرائد وصفعته بكل قوة حتى تردد صوت صفعتها في آذاننا.

- هذا تعويض على اهانتك لي قالت رسم بتعالي

- اقبله بكل سرور، أجاب الرائد وقد احتقن وجهه

- لا تظن اني سامحتك فانا لن اسامح، من يؤذيني أبدا لكن هذا لكي أنسى ما حدث ليس إلا ومنذ الآن أنا لا حساب لي معك والآن أرجو أن تنصرف لأن الساعة قاربت السابعة وعمتي على وشك الاستيقاظ ولا نريد لها أن تراك هنا.

- اشكر لكِ نبل قلبك ورقتك قال ذلك بسخرية ومكر

حيا الرائد رسم بالكثير من الإحترام، وخرج بوجه متبسم

يا له من مهذار لقد صدع رأسي بخطابه

هل حقا قبلتي اعتذاره

- ليس تماما يا أركافيل، لم يكن ينبغي أن أسمع منه شيئا لكن خطاب العنصرية ضد النساء وهنا ضحكت رسم، شوقني قليلا وقد كان تدفقه بالكلام نابعا من قلبه ولكن لا يهم الآن، المهم إنني ردت الصفعة له وانتهى الموضوع لكن منذ متى وانت تجيد العراك.

-

قالت رسم هذه وهي تنظر إلي بوجل فأجبت

ليس الأمر كذلك لكن كان علي أن افعل شيئا ولم يخطر لي أمر افعله غير هذا ولعلمك| هو من ضربني وليس العكس.

- اهنئك على شجاعتك، فقد فعلت ما كان يجب أن افعل

- لا تقل كلاما كهذا أسس فالأمر مختلف لو فعلت انت ما فعلته، انا فسندخل السجن، كان لك سوابق في هكذا أمور اما انا فلا،

- يبدو ان بسانيو يدخل عهدا جديدا هكذا ختم اركافيل الكلام وهو يضحك ساخرا من حالي.

كادت حرارتي لترتفع فطلب مني ان اعود للنوم فعلا ما ان وضعت رأسي على الوسادة حتى غططت في نوم عميق، كان فيه الكثير من الاضطرابات، فالحمى لم تبارحني ولكن بالمجمل ارتحت كثيرا في هذه المرة اكثر من ليلة امس.

استيقظت حوالي الساعة الرابعة عصرا، وألم الصداع لم يفارقني، لكن حرارتي انخفضت، نهضت بتكاسل كي استحم في ماء بارد وقد نفعني كثيرا في تجديد التشافي

ارتديت ملابسي ومشطت شعري وشاربي وحين نظرت الى المرآة ابتسمت دون ان انتبه، لقد كان منظر الكدمات على انفي وفوق حاجبي الأيمن، يشعرني بسعادة وفخر كبيرين، فقد اصبت بهما خلال دفاعي، عن هدف نبيل او لنقل دافعت لأول مرة عن نفسي، عند خروجي من الغرفة رأيت عمتي عند الدرج كانت قد خرجت لتوها، من غرفة جدتي اردت أن اقترب منها لأحدثها، لكنها سبقتني اقتربت مني.

- ميخائيل، كنت سأمر عليك لأطمئن على صحتك يا إلهي ماذا أصاب وجهك هل أنت بخير أخبرني ماذا أصابك تكلم ظلت عمتي ترتجف وهي تنطق هذه الكلمات

- عمتي لا تقلقي ليس هنالك شيء مهم لقد أصبت أثناء نزولي من الدرج أو بالأحرى سقوطي عن الدرج

- ماذا تقول لا تكذب علي هذه آثار ضرب

- لا لست أكذب كل ما في الأمر أني شعرت بالعطش وأردت أن أنزل إلى المطبخ اشرب ماء ولكن لأن الظلام كان حالكا وقعت وأصيب وجهي كما ترين

- يا إلهي كان على أحدهم أن يبقى إلى جانبك فأنت مريض

- كانت رسم إلى جانبي لكني لم أشأ إيقاظها لكن داعي عنك كل هذا وأخبرني ماذا يحدث معك لماذا أنت شاحبة هكذا لقد انتبهت على شحوبك منذ وصولي.

وضعت يدي على جبهتها حتى اتحسس حرارتها فقلت:

عمتي ما هذا أن حرار تك مرتفعة حقا أنت من تحتاج إلى الراحة وليس أنا.

- أنا بخير صدقا لا وقت للراحة حسنا تعال فضيوفي على وشك الوصول

- لا لحظة ماذا دهاني كدت انسى، تعال معي، جرتني عمتي الى غرفتها واخرجت أوراقا وقلما من درجها، واعطتني إياها وهي تقول: وقع

- ما هذه الأوراق؟

- انها تنازل عن الميراث، لقد طلبت من اركافيل ان تحضرها، هذا الصباح، ولقد فهمت موقفك تماما ولايسعني اجبارك على شيء، كانت تتكلم بتدفق ولم ازد على كلامها بل قمت بكل هدوء دون ان اقرأ ما كتب انها الآن حوالي الساعة الخامسة والربع عصرا، وقد حضر ضيوف عمتي، وقد. كانوا أقارب الآنسة سبيل، الذين أعلنت لهم امس انها لن تزورهم لمنزلهم مرة أخرى، ما دامت على قيد الحياة، بالإضافة الى قريبات الآنسة سبيل، مدير اركافيل في العمل، وهو رجل في الخمسين من عمره، بدين قصير القامة، له عينين صغيرتين، ماكرتين، وقد أتيح لي التعرف عليه، قد كان برفقته ليل صاحب الابتسامة المستفزة، قد بدى عليه المرح واضحا.

-

- لا يسعني وصف الدقائق العشرة الأولى من حضورهم وكيف مضت لقد شعرنا ان الجو مشحون تماما، فالآنسة سبيل احمرت من فرط الغضب حيث رأت قريباتها سيما حين نظرن لها نظرة استهزاء وسخرية، وما ان شعرن انها لاحظت سخريتهن، رحن يتجاهلنها، وكأنها غير موجودة تماما ورغم ما لحظته من حمرة وجهها الا انها ظلت هادئة طول الوقت وملازمة لأركافيل اين ما ذهب، وقد لاحظت انه كان سعيدا، بهذا الوضوح اما عن رسم وأسس فلم يسعني ان أرى انطباعهما الأول عند رؤية الرائد، ولكن لاحظت لاحقا ان رسم تصرفت كأن شيئا لم يكن،لكن أسس عكس ذلك تماما فهو لم يفوت الفرصة لاظهار غضبه وامتعاضه، من حضور الرائد اما هذا الأخير فقد ظل يتصرف بود ومرح، مبالغ بهما، وقد لاحظ الجميع هذا بالاخص عمتي التي كانت خائفة من اندفاعات أسس غير المتوقعة وكانت تراقب الموجودين مثل ما فعلت أنا.

- وهكذا انقضت تلك الدقائق العشرة بين الارتباك والوجل، والمجاملات الزائفة والتهكم وسرعان ما وجد الجميع انفسهم منخرطين في حديث يبدو ان اركافيل هو الذي بدأه، لم انتبه كيف بدأ الحديث لني اذكر اني

انتبهت اليه حين سمعت احدى بنات السيدة مرج وهي الكبرى منهن تقول بانفعال:

- لكن، هذا حقيقي، حقيقي تماما
- لا صدقا ما هذا الا هراء الأجيال الجديدة وانتم باندفاعكم، اقصد اندفاعات الشباب تصدقون مثل هذه الأشياء وتندفعون بجنون للدفاع عنها حتى ان لم تكن تعنيكم، لا لشيء الا لتثبتوا انكم متحررون فكريا، وما انتم الا متزمتين لا تقتنعون الا بما يخالف من سبقكم جيلا،

هكذا اجابها السيد جبيل بكل برود ثم نظر الي وقال:

- ما رايك بما قلت ام ان لك رأي آخر
- ارجو المعذرة ولكنني لم انتبه لما كان يدور بينكم الا الآن
- لا بأس عليك فهذا وارد الحدوث لكن اسمع كنا انا والآنسة نتناقش حول موضوع مهم، وهو ان الله لا يريد منا ان نكون عبيدا طائعين له فقط لان هذا واجب علينا بل يريد منا ان نكون أحرارا محبين، ويكون هذا الحب بمليء ارادتنا لا مفروض علينا، وبعد ان استمعت لكلماته التي كان ينطقها بكل تلذذ قلت له:
- وهل هذا رأي يمكن ان يختلف عليه اثنين، يا سيدي

- اجل يا أيها الشاب اجل يمكن ذلك بكل تأكيد، فانا مثلا لي رأي آخر غير الذي تظنون

- ها قد بدأ من جديد

هكذا نطقت سبيل بنفاد صبر مما جعل الجميع يلتفتون اليها بالوقت ذاته ولكنها لم تكترث لهم بل أكملت تقول

- سيدي اعذرني لكن فكرتك غير منطقية البتة، اما انا فأراها عكس ما ترين فاسمح لنفسي ان اسمي رأيي هذا هو أساس المنطق، بل ومركزه، ثم التفت الي واكمل، أرى ان على من يملكون سلطة على فكر المجتمع، واقصد هنا رجال الدين، خاصة ان يفرضوا الدين فرضا، ولا يهتموا لتلك المفاهيم التي يتبناها المستحدثين، والتي يسمونها الاختلاف لضمان عدم هدم القيم، والاسرة فان الانسان او علي استخدام الكائن البشري افضل لرسم صورة كاملة، المهم الآن ان هذا الكائن البشري هو بطبعه يؤمن ان هنالك قوة عليا عليه الانصياع لها ولقوانينها كي يبقى المجتمع بأمان ولكن ما هي هذه القوة؟ هي الله وما هي قوانينه؟ وهذه أمور لا يمكن للكائن البشري ان يعرفها، من تلقاء نفسه، وهنا يأتي دور رجال الدين، عليهم ان ينغمسوا مع الدولة، ومع المجتمع، فردا فردا، ان يدخلوا

البيوت، ان يفرضوا على الاهل الالتزام، بالدين والأخيرون اقصد الأهالي سيجبرون على الطاعة، اما الذين لا ينصاعون فعلى رجال الدين ان يتعاملوا معهم كالمجرمين وينبذونهم نبذا وصدقوني لا يخيف المرء شيئا اكثر من ان يكون منبوذا، هكذا ستبنى الاسرة متوازنة وسيكون المجتمع سليما، والدولة قوية،

- ولكن سيدي لا تنسى أن هنالك ديانات غير الديانة السائدة في الدولة، وهم من نسميهم الأقليات، وها هنا اثبت ان فكرتك غير مكتملة، هكذا تكلمت رسم بكل تهذيب، فهتف الرائد يكمل مع رسم،

- صحيح، ولا يمكن ان تقول ان علينا اجبارهم على ترك دينهم واتباع دين سائد، لان هذا سيثبت ان فكرتك غير مكتملة وخاطئة تماما كما قالت الآنسة قبل قليل لا وبل مضحكة، وغير منطقية، بعد ان اكمل ما قاله نظر الى الحضور نظرة كبيرة وفيها زهو، فظل السيد جبيل صامتا لبعض الوقت، مبتسما بوجه الرائد ليل، ورسم، فأكمل يقول: قبل ان اجيبكما أيها الشابين اود ان اعترف اعترافا وهو انكم أيها الجيل يصعب مجاراتكم بالكلام، فانتم تجدون الثغرات بكلام محدثكم، مهما بذل جهدا بان لا يترك لكم ثغرة، وما تنفكون تستخدمون هذه

الثغرات، فألاحظ كل آراء محدثيكم وافكارهم ولا اعرف ان كان هذا يحسب لكم ام عليكم.

- وكيف هذا؟ وهتف اركافيل فأجاب السيد جبيل

- هذه الميزة يمكن ان تعتبر سلاحا ذو حدين او عملة بوجهين، فأولهما يمكن اعتباره ذكاء وفطنة اما الثاني يمكن ان يعتبر تزامنا وعنادا.

- فأجابت مرج تقول:

- انا اتفق معك بشدة خاصة في النقطة الأخيرة، لقد اجدت صياغتها بشكل جيد صدقا لقد اقنعتني.

- ما الذي تقولينه يا امي، قالت ابنة السيدة مرج الكبرى

- فقالت الأخرى:

- لا اصدق ان مثل هذا الكلام أقنعكِ، فقالت الكبرى

- يا سيد جبيل إنها فكرتك الدكتاتورية، انت الآن تريد الجميع منهم ان يطيعوا طاعة عمياء، وان يكونوا مستنسخين حتى انك لم تجب على سؤال رسم وليل

- لا تقلقي، لقد كنت اود الإجابة، حالما تنتهين، اما فيما يخص سؤالكما، فالإجابة سهلة ومختصرة،

ان على هذه الفئات ان تعزل وانا هنا لا أقول ان تنبذ لا بل تعزل، وان يكون احتكاكها بباقي الفئات بسيطا وان لا يختلطوا مع العامة الا عند الحاجة وهكذا سيسيطر على المجتمع وبشكل ممتاز، ثم نظر الي وقال:

- اود سماع رأيك، فيما قلت ميخائيل، فأجبت
- بصراحة، يا سيدي لا اعرف بماذا يمكن ان

اجيب، ولكن علي ان اصارحك، انت تجيد القاء الخطابات فعلا، وتجيد اختيار الكلمات ولكن لو عدنا للنقطة الأولى، لرأينا ان ما تقوله وعذرا على ما أقول هو غير منطقي، فانت قلت (ان الله يريد منا) وها هنا الخلل، فالفكرة او الأفكار التي طرحتها، لا تتناسب مع ما يريده الله، بل هذا ما يريده رجال الدين، الذين ينحازون لمعتقداتهم غاضين ابصارهم عن كل ما يحدث حولهم، من ظلم، وقد لا يكونوا غاضين ابصارهم، بل هم يغضوت ضمائرهم، ولا هدف آخر عندهم الا عقائدهم وان كانت عديمة الإنسانية، وفكرتك لا تخدم احد سواهم، ولو فكرنا قليلا دون ان ننحاز الى دين معين سنرى ان الله لا يريد منا إلا أن نكون سعداء راضين وان اردنا شيئا اجتهدنا من اجله، وسعينا لكن دون ان ندعس على احد، اما فيما يخص كلامك فيا سيدي لو طبق ما تقول في دولة ما لكانت قد دمرت تماما،

لأنه وكما قلت ان هذا الكائن البشري، ذو نزوات ونزعات وهو كائن يصعب التحكم به، وكل هذا الكبت سيولد عاجلا ام آجلا انفجارا يصل حد انتشار الجريمة والفساد، والسرقة وانفلات امني وتفكك اسري لن تقوى الدولة ياسيدي بل ستضعف وان الذين لا ينصاعون وينبذون كما قلت سيشكلون فئة خاصة فيهم، وسينتشرون بالعكس، انا أرى ان علينا ان نحب الله دون تدخل من احد ودون وصاية من احد. وانا هنا يا سيدي لا أقول ان فكرك خاطئ لا، فالخطأ والصواب هما شيئان نسبيان تماما الا في بعض القضايا وحتى هذه القضايا يمكن ان تتعرض للاستثناء، فكما ترى انت تظن ان الأولوية للقوة، أما أنا فأرى الأولوية للإنسانية، والأمران كلاهما، خاطئ وصحيح في آن واحد، وهذه معضلة لن تحل ابدا مهما حاولنا، فهي معضلة سرمدية، كانت وما زالت وستستمر لهذا لا أرى طائلا من النقاش فيها، صمت قليلا بينما ظل الجميع يحدق الي، فأجلت النظر في وجوههم لأرى ما خلف كلامي، فبدا لي ان الجميع راض فأكملت:

- ولو نظرنا من الناحية الدينية او الروحية، سنرى ان الله سيجزي الطائع المحب، من دون اجبار على طاعته، جزاء اكثر من ذلك العبد المجبر، وهذا منطقي في

رأيي وان اردت ان تجعل الناس يتجهون للدين، فباختصار حببهم فيه لا تخوفهم منه.

ختمت كلامي وابتسمت بوجه السيد جبيل وخرجت مسرعا، قبل ان يتسنى له اثارة النقاش من جديد

لقد بدأ هذا اليوم بنزع ثياب النهار وارتداء ملابس الليل ذو النجوم المبعثرة، وها هو نسيم المساء العليل يلفح وجهي خرجت الى الحديقة، بدأت بأخذ نفس عميق، محاولا الاسترخاء قدر الإمكان، ثم نزعت حذائي وجلست على الأرض حتى اشعر بملمس العشب، كان طنين اليعاسيب وصوت حفيف الأشجار يضفي على الحديقة جوا مختلفا عن أي جو عشته، يمكن للمرء فعلا لو انصهر وسط هذه الطبيعة ان يغتسل من كل همومه وبكل يسر، وسهولة. وما كانت الا دقائق حتى وجدت نفسي مستلقيا غارقا متماهيا، مع من حولي، شعرت ان جسدي مسترخ تماما وهو يطفو في الهواء الآن، لقد كانت كفوف قدمي دافئة واناملي مثقلة بدمي، الدافئ أيضا، وهذا اعطاني شعورا لا يمكن للكلمات مهما ازدحمت في اوراقي ان تصفه، من شدة روعته، بدأت أسبح في خيالاتي فأنا شخص حالم كما أسماه ديستوفسكي في لياليه البيضاء.

شعرت أن أحدا جلس عند رأسي فقمت بفتح عيني على مهل لأرى هذا الذي عند رأسي، لقد كان اركافيل، هذه الكدمات تناسب وجهك، قال اركافيل ذلك حين رآني افتح عيني فأجبته وانا ابتسم:

- اتعتقد هذا؟
- بكل تأكيد
- هل ما زال مديرك يناقش الحضور؟
- نعم، لقد صدع رأسنا، لقد تبنى هذا الراي منذ أيام.
- وهو لا ينفك يجول هنا، وهناك يناقش الامر مع كل من تتاح له الفرصة للنقاش معه.
- او تعرف ما مشكلتنا، لقد اصبح الجميع يجيد الكلام، والقاء الحجج والخطابات البليغة الرنانة، وهذا جعلنا نتوه بين الصواب والخطأ، اتعرف شيئا انا عن نفسي اؤمن بفكرة ان على رجال الدين ان ينفصلوا انفصالا تاما عن اية سلطة حاكمة، انا أقول ان الانسان ذو جسم مادي فاني، وروح باقية، والغرض من الجسد تحقيق السعادة على الأرض وغرض الروح تحقيق السعادة في الآخرة، والغرض من وجود رجال الدين هو مساعدة الانسان على

تحقيق السعادة في الآخرة، عبر التقرب من خالقه، واذا ادخلتهم في السلطة والحكم، فسيشتتون الناس ولن ينجحوا بقيادة الجمهور لا لسعادة الأرض ولا لسعادة الآخرة.

- شيء معقول، بقينا نحن الاثنين، نلتزم الصمت، ثم قلت

- اركافيل، هل تشعر ان هنالك وخطب ما في المنزل؟

- نعم الآن شعرت بهذا نحن مذ عشنا هنا وانا اشعر ان هنالك خطبا

- لا تمزح هكذا، فانا أتكلم كلاما جادا بما اقصده، ان عمتي تخفي امرا او ربما جدتي،هي من تخفي الامر لهذا تتجنب لقاء احد

- لماذا تشعر بهذا.... اقصد.....

- الم ترى تصرفات عمتي الغريبة، انها كالمجنونة تتكلم عن الميراث واشياء أخرى.

- جدتكما كتبت كل شيء تملكه لعمتكما، ظهر صوت ثالث يقول هذا فرفعنا انا واركافيل رأسينا لنرى أسس يقف امامنا، فقال اركافيل حالما رآه:

- كيف علمت انت بهذا؟

- لقد تحدثت عمتكما مع الرائد لتوها على انفراد وحين رأى مديرك انهما يتحدثان اقحم نفسه في الحديث

- وماذا سمعت؟

- اخبرتهما ان أمها أجبرت في نهاية الأمر على تسجيل كل شيء باسمهما

- وهل تكلمت جهارا؟ قلت ذلك وانا انهض من على الأرض بمساعدة اركافيل فأجاب أسس

- لا لقد تنصت لأسمع هذا

- على رسلك ماذا يعني كل هذا، سأل اركافيل

- اذهب واسأل خالتك بالأمر، أجاب أسس فأمسيك اركافيل بكتفه وقال له:

- هل تحاول تلفيق القصص الكاذبة على خالتي

فلم يكمل اركافيل كلامه حتى امسك أسس اركافيل من قميصه وجره الى شجرة، كانت بقربنا وتكلم من بين اسنانه يهدد اركافيل

اسمع اياك ان تحاول استفزازي هل تفهم؟

- ماذا تفعلان، ولماذا هذا الغضب كله؟ قلت هذا انا مخاطبا كليهما وانا أحاول التفريق بينهما، فأفلت

أسس أركافيل بغضب، اما الأخير فذهب مسرعا الى داخل المنزل، فلحقت به بسرعة، لأني لاحظت توتره الكبير، بسبب ما سمعه من أسس

- حين دخلت المنزل وجدت جميع الضيوف موجودين عدا مدير اركافيل، جبيل كانت عمتي تجلس قرب السيدة مرج واركافيل يقف بقربها بنفاد صبر واضح

- جلست قرب السيدتين اترقب ما قد يحدث فانتبهت الصغرى من بنات السيدة مرج ان هنالك خطبا، أصاب اركافيل فاقتربت منه وهمست في أذنه، شيء ما فراح يبتسم في توتر ويقول: لا تقلقي ليس هنالك ما يقلق، انا فقط شردت قليلا.

- جاء ليجلس قربي، وكل هذا حدث وعمتي لم تنتبه للأمر، اما الباقين فقد شعرت انهم انتبهوا الى حالة اركافيل العصبية.

- اركافيل وهو يهز قدمه بسرعة

- انت لا تفهم هذه المرأة الماكرة، بقيت صامتا لدقيقتين بعد ان سمعت كلام اركافيل ثم قلت له:

- ماذا تقصد؟

- ستفهم لاحقا، أما الآن فانا لا استطيع التكلم

- كان الوضع متوترا جدا فأركافيل كان يبدو غاضبا جدا وهو يضم يديه الى فمه، ويهز رجله وينظر الى عمتي بشزر أما عمتي فقد كان الانهيار واضحا عليها رغم عدم انتباهها الى اركافيل. نهضت الآنسة شمس كبرى بنات السيدة مرج، وقالت لوالدتها: التي لم تسكت ابدا.

- امي اعتقد ان الوقت قد حان للانصراف

- لماذا تقولين هذا لم حين الوقت بعد اجلسي

- ولكن اليس من الأفضل؟

- لا لا ليس من الأفضل اجلسي عزيزتي، وعادت تتكلم مع عمتي التي لم تكن تفهم أي شيء يحدث حولها ولا كلام السيدة مرج الموجه لهما.

- همست رسم في اذن الآنسة شمس قائلة:

- لماذا تودين الرحيل الآن، التفتت شمس الى رسم واجابت

- الم تلاحظي بعد؟

الاحظ ماذا

- هنالك خطب وقع معكم او يمكن القول معهم، قالت ذلك وهي تشير نحونا أنا واركافيل.

- لا تقلقي، فوجودكم لا يزعج أحدا، وربما هما على هذا الحال بسبب شيء وقع بينهما

- لا انا اعرف ان وجودنا لا يزعجكم ولكن علينا ان نذهب، ختمت شمس كلامها وهي تنهض باتجاه أمها، وهذه المرة بحزم اكبر، امسكت بتنورة والدتها وقالت في ترج....

- امي فلنذهب ارجوك

- ما الامر؟ لماذا انت على هذا الحال، قالت والدتها وهي تجيل النظر بيننا، ظننت منها ان احدنا دفع بينها لتطلب المغادرة.

- ولكن ابنتها لم تجب، بل انحنت تأخذ حقيبتها و امسكت بيد اختها، وخرجت من المنزل، وسط انتظارنا جميعا، لم يتدخل احد بل بقينا صامتين ننتظر ما يحدث

- انا حقا آسفة لا اعرف ما دهاها لابد انها..... آسفة

- سأذهب يجب علي أن الحق

لم تكمل السيدة مرج كلامها بل اخذت هي الأخرى حقيبتها وخرجت مسرعة وخلفها رسم توصلها الى الخارج

حسنا خالتي تحدثي ماذا تخفون؟ قال اركافيل هذا وهو يشير الى ليل الذي ظل يجلس في ركن قصي وهو يراقب ما يحدث صامتا، لم تجب عمتي، بل ظلت تبتسم

كالبلهاء التي لا تفهم شيئا مما جعل اركافيل ينهض ويسحب عمتي من يدها وهو يقودها نحو غرفة جدتي، في الأعلى فنهضتُ انا وسبيل أيضا تحاول منعه لكننا لم نستطع، ظل اركافيل يجرها بقوة حتى وصل غرفة جدتي، كان يصرخ بطريقة وحشية لم اعهدها عليه من قبل، كان اللعاب يملؤ فمه وهو يصرخ بعمتي لكي تفتح له باب الغرفة، هرعت رسم الى الأعلى حين سمعت صوت اركافيل، وصوتي وانا اطالبه بأن يتوقف عما يفعله، ظلت واقفة على السلم تنظر الينا، وتبكي وحين رأت سبيل رسم وهي على ذلك الحال، نزلت اليها لتهدئها لكنها لم تهدئ بل العكس فقد انتقل الرعب الى قلب سبيل، وتعانقت الفتاتان، وهما تبكيان، فحين اخذت عمتي من بين يدي اركافيل وخبئتها خلفي، جن جنونه، وقد بدء يصرخ ويقول ان عمتي دمرت كل ما بناه، وانها حطمت كل شيء كان يختنق بكلماته ولايستطيع التنفس، وقد تحول لونه الى اللون الأزرق، قام بخلع قميصه وظل يرفس الباب ليكسره، لكنه لم يستطع حاولت امساكه وابعاده لكي لا يخيف جدتي اكثر لكني، لم استطع، فهرعت سبيل لتنادي أسس لكنها لم تجده، يبدو انه قد خرج، قبل ان تبدأ المشكلة ولكنها وجدت الرائد ليل يقف على الدرجة الأولى من السلم، منتظرا ما

قد يحدث فطلبت اليه ان يصعد، ويساعدني، فعلا صعد الرائد ليل وقمنا بإمساك اركافيل وابعاده من الباب، ظلت عمتي تقف خلفي وترتجف، مثل طفل صغير، فأخذتني بها الشفقة، فأخذت رأسها بين يدي، واحتضنتها بقوة، لكي اهدأها كما كانت تفعل معي حين كنت اشعر بالخوف في صغري.

جلس اركافيل عند باب غرفة جدتي وامسك رأسه بين يديه وبدأ يبكي ويقول بألم كبير:

لماذا فعلتي كل هذا بي؟ لماذا تضحين بي دوما ثم سكت ليمسح وجهه ويعود لارتداء قميصه، وعاد ليقول لعمتي لكن دون النظر اليها

- افتحي الباب، قالها بهدوء فأجابت عمتي التي لا تزال ترتجف.
- تركتها في الأسفل.. اقصد ... المفاتيح
- اين بالضبط؟ قال اركافيل بجفاء فأجابت عمتي
- حيث كنت أجلس

- رسم اذهبي، إأتي بها بسرعة، قال اركافيل هذا طالبا من رسم ان تأتي بالمفاتيح فذهبت الأخيرة، دون ابطاء.

- ما الذي يحدث مازلت لا افهم، قلت ذلك والرعب يتملكني فانا لم افهم فعلا ما الذي حدث وربما فهمت شيئا يسيرا لكنه جزء مني رفض التسليم بكل هذا

- لم يجبني احد حين تكلمت، لكن الرائد ليل وضع يده على كتفي من دون ان ينظر الي.

- أتت رسم بالمفاتيح مسرعة وأعطتها لأركافيل الذي فتح الباب مسرعا، وحين دخل دخلنا جميعا واحدا تلو الآخر وجدنا جدتي نائمة على سريرها كالعادة، لكن هذه المرة كان يغطي وجهها وجسدها لحاف ابيض خفيف وغرفتها كانت مليئة بالورود المتناثرة، هنا وهناك وقد اشتغل مكيف الهواء وضبط على اقل درجة حرارة ممكنة، واحكم اغلاق النوافذ جيدا، كان هواء الغرفة سميكا خانقا يناسب جثة، اجل دون ادنى شك كانت جدتي قد ماتت منذ صباح الامس سقطت ارضا حين رأيت كل هذا وبقيت حيث انا انظر ولا اتحرك، لقد خبت الأصوات جميعا من حولي، كنت كمن يغرق في البحر، لكني كنت اغرق في الصمت، كنت أحاول تقبل ان جدتي صارت في عالم

الأموات، ماذا حدث قبل دخول الغرفة، هل كل ذلك حدث فعلا وان حدث فما هو تفسيره

- بعد دقائق من الصمت رفعت رأسي الى الأعلى لكي أرى اركافيل والآخرين، وكان واضحا ان صدمتهم لم تكن أقل من صدمتي أنا، لقد كان الذعر واضحا عليهم، مد الرائد ليل يده ليساعدني على النهوض، اجلسني على الاريكة وراح يطفئ جهاز التكييف، طلب من عمتي ان تدخل الغرفة فدخلت الأخيرة، دون أي اعتراض، وجلست الى جانبي شابكة يديها تنظر الى الأسفل.
- تكلمي قال اركافيل هذا موجها الكلام لعمتي التي اجابت بعد وقت ليس بالقليل
- لقد... لقد كان خطأ
- ما هو الخطأ؟ قالت رسم هذا، وهي تبكي فأجابت عمتي
- انتم لا تفهمون شيئا، انا التي ضحيت لاجلكم جميعا، لكن انظروا الى أنفسكم
- انظروا الي، اوه يا الهي وضعت عمتي رأسها بين يديها واكملت وهي تبكي:

- لقد جنت امي حين علمت اني بعت مصنع الشمع لليل، لقد ظنت اني فعلت ذلك لمصلحتي الشخصية، لم تكن تعلم اني او اننا كنا غارقين في الديون، كنا مدينين لليل، وهذا امر يعرفه اركافيل، ولكن مالا يعلمه ويعرفه اننا كنا مدينين أيضا لمديره جبيل، ولأشخاص آخرين، كنت استدين من هنا وهناك حتى اكمل العمل في المصنع، كما يجب لكنني لم استطع فبعت المعمل لليل بثمن بخيس لكن هذه العجوز ورغم كل ما قدمت من تضحيات ابت ان تصدق هذا.

فنهضت من سريرها وضربتني بالعكاز، على رأسي فثارت حفيظتي ودفعتها على السرير وقمت بخنقها بوسادتها، لكنني صدقوني، أنا لم اكن انوي فعل هذا..... لا أعرف لقد وجدتها ميتة تحت يدي، حاولت ايقاظها لكنها لم تستيقظ نعم لقد هززتها هزا قويا حتى انني اذكر لقد وضعت فوق وجهها مرآة لأرى أنفاسها، انا اسفة لا لست آسفة ما زلت اشعر بذلك الشعور الذي راودني يوم اذ لقد كان وما زال شعورا عنيفا جعلني انسى كل شيء او بالأحرى اشكك في كل شيء حتى بنفسي، وبمن أكون وهل انا ميخائيل؟ ولدت في العائلة الخطأ؟ لا أعرف لقد

مرت سبعة أعوام على ذلك اليوم المشؤوم ورغم مرور كل ذلك الوقت، لكني لم اتخطى ما حدث ومازلت لا اعرف من أكون؟ استمريت فقط في العيش على إنني شخص جديد.

١٤/ ديسمبر/٢٠٢٤